الجامعة

﴿ الجزء السابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — ذو الحجة ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

تاريخ فيكتور هيغو

﴿ مقالة تهديها الجامعة الى روحه الكريمة ونفسه العظيمة ﴾

وهي عبارة عن تاريخ فرنساني قرن كامل يجد فيه القارىء مزيجاً من التاريخ والادب والشعر والفكاهة كانه كتاب مستقل مختصر . وقد عانينا مشقة كتابته بهذا الاسهاب لمناسبة احتفال الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادة هذا الرجل العظيم . وهذه الترجمة اول ترجمة كاملة صحيحة تُنشر في اللغة العربية عن هذا الانسان الذي يجب ان لا يجهله انسان

خطب المسيو براندِيس المؤلف الدانمركي في هذا الشهر في باريز فقال : ان ظهور اعاظم الرجال في الارض منحة الهية من السماء . فان هؤلاء الرجال يرفعون شأن البشر ويزينون الحياة بما يبتدعونه فيها . واي رجل عاقل لا ينسى برهةً مصائب الحياة ومصاعبها اذا اخذ كتاباً من كتب شكسبير او كوث وصار يطالعه بامعان تحت ظل صفصافة على شاطىء نهر او تحت ظل سنديانة في اعالي الجبال . واذا كان هؤلاء المؤلفون المبتدعون هم بهجة الارض وزينتها فمن مصلحة الحكومات والامم ان يسهلوا لهم سبيل الظهور ويمهدوا امامهم

طريق الحياة لئلا تقتل مصاعبها ما خصتهم به الطبيعة من القوات والقوى. ثم قال ان الحكومات الملكية افضل من الحكومات الجمهورية من هذا القبيل لانها اصلح لنشأة اعاظم الرجال فيها

وليس غرضنا من نشر هذا القول الاشارة الى خطاءه او صوابه وانما غرضنا ان نأخذ منه هذه العبارة : ان اعاظم المؤلفين الذين يستحقون ان يُدعوا كذلك هم بهجة الارض وزينتها في هذه الحياة ولولاهم لما كانت الحياة على هذه القبضة الترابية التي يسمونها كرة ارضية جميلة كما هي الآن . ولذلك ننشر في كل جزء عرف فضائلهم في صدر المجلة

وحسبك لتأييد هذا القول ان تنظر الى رجل واحد احتفلت الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادته . ونريد به فيكتور هيغو الشاعر الفرنسوي المشهور . فان هذا الرجل ملاء الارض شرقاً وغرباً من تاثيره فكانه شمس انارت العالم كله او كانه عالم مفرد انارته شمس المواهب السماوية . ولذلك راينا ان نأتي على ترجمة هذا الشاعر بالاسهاب الواجب لرجل مثله ونهديها الى نفسه الكريمة التي هي الآن حيث كان يلذ لها الارتفاع في اعالي السماء فوق الكواكب والنجوم

***

﴿ تاريخ صباه ﴾ هو فيكتور ماري هيغو ولد في ٢٦ فبراير من عام ١٨٠٢ وتوفي في ٢٢ مايو من عام ١٨٨٥ . وقد قال عن نفسه في احدى قصائده عن القرن التاسع عشر « لما ولدتُ كان عمر هذا القرن سنتين » اما ابوه فهو الجنرال هيغو واما امه فهي صوفيا تربيوشه كريمة احد اصحاب البواخر في نَنت . ومنهم من يزعم ان اباه كان من اسرة قديمة من اللورين نالت رتبة الشرف في عام ١٥٣١ ولذلك كانوا يلقبون اباه « الكونت هيغو » ويلقبونه هو « الفيكونت فيكتور هيغو » . وقد اثبت فيكتور هيغو هذا النسب لنفسه في كتاب عنوانه « ترجمة فيكتور هيغو بقلم احد رفاقه » ولم يكن هذا الرفيق سوى مدام هيغو نفسها التي كتبت هذا الكتاب وزوجها املاه عليها . على ان قوماً آخرين ينكرون هذا الزعم ويقولون ان جدّ فيكتور هيغو كان نجارًا في ننسي وكان يُدعى « يوسف هيغو »

وقد ولد فيكتور هيغو في مدينة بيزانسون . وكان له اخوان اكبر سناً منه وهما آبل واوجين . ومن غريب امره انه كان شبيهاً بنيوتن من حيث ضعف البنية في صغره . فقد كان هزيل الجسم نحيفاً اصفر اللون ولكنه كان فوق جسمه راس كبير كانّ كل قوته

قد صُرفت اليه وخُزنت فيه . ولذلك كان بعضهم يضحك من ذلك الجسم الصغير والرأس الكبير

عائلة هيغو

وكان هيغو ابو صاحب الترجمة عزيزًا على جوزيف بونابرت شقيق نابوليون وقد ترقى في جيشه وتحت امرته وكان مضطرًا الى الانتقال من بلد الى بلد طوعًا لنظام خدمته . فلم يقم في بيزانسون سوى بضعة اشهر ثم انتقل الى مرسيليا فكورسيكا فجزيرة الب فجنوه . وكان ارساله الى جنوه في عام ١٨٠٥ فكرهت زوجته ان تصحبه الى تلك الجهات الغريبة فعادت باولادها الى باريز وارسلتهم الى مدرسة في شارع مون بلان . ولكن زوجها لم يلبث ان جُعل حاكمًا لمقاطعة افيلينو في ايطاليا فاستدعي زوجته واولاده لظنه انه التي عصى التسيار في تلك الجهات . فسارت مدام هيغو باولادها الى ايطاليا . غير انه لم يستقر بها المقام حتى جُعل جوزيف بونابرت ملكًا لاسبانيا وكان ذا ميل الى هيغو ابي صاحب الترجمة كما تقدم فاستدعاه اليه. فسار هيغو الاب الى اسبانيا وعادت زوجته باولادها الى باريز فادخلتهم الى مدرسة في شارع سنت جاك انشأها رجل يُدعى المسيو دي لاريفيير وكان قبل الثورة راهبًا فلما شبت نار الثورة تزوج وعمد الى التدريس . وقد زعم بعض مترجمي هيغو ان هذا المعلم هو الذي بث في نفسه من صغر حب الجمهورية حبًا شديدًا ظهر بعدئذ في كتاباته ظهورًا عظيمًا . وكان يومئذٍ عمر هيغو الابن سبع او ثماني سنوات . فاذا صح ذلك الزعم كان اكبر دليل على اهمية التعليم الابتدائي وصدقِ من قال : ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي عام ١٨١١ رُقي ابو هيغو من رتبة كولونيل الى رتبة جنرال وجُعل من ياوران ملك اسبانيا وعُين مديرًا لمائدة الملك وواليًا لمقاطعات افيله وسكوفيه وصوريه . فارسل هيغو واستقدم زوجته واولاده الى اسبانيا . ولما قدمت امرته ادخل اولاده الى مدرسة النبلاء الاسبانية فكان التلامذة الاسبانيون يسيئون معاملتهم حسدًا لهم لانهم كانوا غرباء بينهم . ولكن لما كانت سنة ١٨١٢ اضطربت حال الفرنسويين في اسبانيا وخشي هيغو من خروجها من ايدي دولته فابقى لديه ابنه آبل واعاد زوجته وولديها الآخرين الى باريز خوفًا عليهم من فتنة او اضطراب . وكان عمر هيغو الابن حينئذٍ عشر سنوات وقد زار في اثنائها مع اسرته رومه ونابولي واسبانيا فافادته هذه الزيارات كثيرًا خصوصًا زيارة اسبانيا التي ابقت في قريحته وعقله آثارًا اسبانية لم تُمحَ منها . وقد وجد شارحو

كتبه في كتاباته ما لا يحصى من التعابير والمواضيع والصفات الخاصة باللغة الاسبانية

ولما عادت مدام هيغو بولديها الى باريز اعادتهما الى مدرسة الراهب الذي تقدم ذكره . وكانت مدام هيغو من النساء اللواتي يستحسنّ آراء فولتير ورسو فتركت ولديها يُطالعان كل الكتب التي كانت تقع في ايديهما من مكتبة جار لها حتى ما كان منها غير ادبي . فاقتبس الولدان من هذه المطالعة المستمرة المتنوعة كثيرًا من المبادىء الابتدائية المختلفة . وربما كانت بذور الحرية القيت في نفس فيكتور من هذه المطالعة لا من مبادىء الراهب الذي تقدم ذكره

وفي عام ١٨١٥ عاد الجنرال هيغو الى باريز . وكانت اخلاقه لا تنطبق على اخلاق زوجته فاشتد الاختلاف بينهما في هذا العام حتى انفصل عنها واخذ ولديه منها بناء على حقوق الاب في فرنسا . ثم ادخل هذين الولدين في مدرسة كورديه فاقاما فيها الى عام ١٥١٨ ثم اخذا يتلقيان الفلسفة والرياضيات والطبيعيات في مدرسة لويس الكبير فظهر منهما استعداد تام لاقتباس العلوم والفنون . ولما بلغ فيكتور هيغو صاحب الترجمة السنة الرابعة عشرة بدأ بالنظم وكان ذا ميل فطري اليه

***

﴿ بدء حياته الادبية ﴾ واول منظوماته رواية دعاها « ايرتامين » واخرى دعاها « اتيليا » ثم كتب رواية عنوانها « اينس دي كاسترو » وكلها صنع طفل في عالم الكتابة ولعلها لم تُنشر . وكان الشاعر فرجيل اللاتيني احب الشعراء اليه فترجم بعض ابيات من ابياته .

الفتى هيغو والاكاذمية

ولكن كل ذلك لم يدل عليه الدلالة الواجبة . ففي ذات يوم فتحت الاكاذمية الفرنسوية بابًا للشعراء والكتاب للمباراة في موضوع « منافع الدرس والمطالعة » . وكان عمر فيكتور هيغو يومئذ ١٥ عامًا . فخطر له الدخول في هذا السباق لان نفسه الكبيرة في جسمه الصغير كانت تحدثه بكل امر كبير . وكان يقرأ منظومات عصره فيجدها جافة ناشفة بازاء كنز الشعر والموسيقى الذي كان في باطنه ينمو شيئًا فشيئًا . فنظم قصيدة طويلة في هذا الموضوع ووقعها بهذا التوقيع « فيكتور هيغو وعمره ١٥ عامًا » ثم انه اخفى هذا الامر عن كل انسان الا عن معلمه لانه رام مفاجأة رفاقه واهله بفوزه اذا فاز وكتمان فشله اذا فشل . فجعل معلمه التلامذة في ذات يوم يمرون عن باب الاكاذمية وبينما كان التلامذة

مشغولين بالحديث اسرع الفتى فيكتور ومعلمه فدخلا الى الاكاذمية كالبرق ووضعا تلك القصيدة في موضع المراسلات ثم عادا وهما يضحكان وقلب الفتى فيكتور يرقص طرباً واملاً ٠

وبعد ايام كان فيكتور هيغو يلعب في دار المدرسة واذا باخيه الكبير آبل قد دخل يطلبه ٠ فلما رآه صاح به آبل : تعالَ ايها الابله ٠ من طلب منك ان تذكر سنك في القصيدة التي قدمتها الى الاكاذمية ٠ يا لك من حمار ٠ فان الاكاذمية حسبت ان ناظم القصيدة يهزاء بها بقوله ان سنه ١٥ سنة ولذلك حرمته من الجائزة واكتفت بذكر اسمه بين الفائزين ٠ ولولا ذلك لكانت الجائزة لك

وكان آبل يتكلم وهو يضحك وقلبه ممتلىء سروراً ٠ اما فيكتور هيغو فلو نظر ناظر الى قلبه في ذلك الحين لرآه يخفق خفوق فراشة امسكت من احد جنحيها ٠ وهذا اول فوز ناله فيكتور هيغو في عالم الادب ٠ ومنذ هذا الحين صار معروفاً لان مجرد ذكر الاكاذمية كاتباً بين الفائزين كان سبباً في اشتهاره ٠ وكان هذا الامر شرفاً يصبو اليه كثيرون من الكتاب والشعراء٠ فكأنَّ الاكاذمية مجلس ادبي عالٍ يوزع الشهرة على مستحقيها من رجال الشعر والادب

هيغو والملكية

ومنذ هذا الحين انصبَّ فيكتور هيغو على النظم والكتابة فنظم في عام ١٨١٩ قصيدة موضوعها « فوائد التعليم العملي» وقدمها الى الاكاذمية فذكرت الاكاذمية ناظمها بين الفائزين ايضاً ٠ ثم نظم بعد ذلك قصائد موضوعها : عذارى فردون ٠ واعادة تمثال هنري الرابع٠ وموسى في النيل ٠ والتلغراف ٠ فارتاح الجمهور الى منظوماته واعترف له بالشاعرية٠ اما انصار الملكية فانهم كانوا يصفقون طرباً لكل قصيدة من قصائد هذا الفتى لانهم وجدوا في كلامه المنمق وعباراته الانيقة وعواطفه التي تلذُّ لها الوقفات بين الشؤون الملكية لوصف احوالها السامية ما جعلهم يؤملون ان ذلك الشاعر النابغ بينهم سيكون في المستقبل شاعرهم وحامل لواء مجدهم ٠ ذلك ان فيكتور هيغو كان يومئذ ملكياً بحتاً ٠ وكان لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا في ذلك الزمان وقد دخلها بعد معركة واترلو واسر نابوليون الاول ٠ وكان شاتوبريان الكاتب المشهور يدير يومئذ جريدة « الكونسرفاتور » اي المحافظ وهي جريدة كاثوليكية ملكية غرضها الانتصار للملكية ٠ فانشأ فيكتور هيغو مع اخويه جريدة سماها « المحافظ الادبي » وجعلها بمثابة ملحق لجريدة شاتوبريان ٠ وكان شاتوبريان

يسميه « الفتى العظيم » . وقد دلّ فيكتور هيغو على هذه العظمة منذ صغره فانه كان يحرر جريدته « المحافظ الادبي » وحده متستّرًا تحت اسماء مختلفة فكان يكتب فيها في التاريخ والادب والشعر والروايات في آن واحد . وفي ذات يوم نشر في جريدته قصيدة في موت الدوق دي بري فراقت هذه القصيدة للملك ومنحه خمسمائة فرنك جائزة له . وفي عام ١٨٢١ انضمت جريدة « المحافظ الادبي » الى جريدة « اساطير الادب والفنون » ولكن فيكتور هيغو خرج منها

زواجه بسبعمائة فرنك

وفي هذا العام توفيت امه وكان يحبها حبًا شديدًا . فجعلت وفاتها فراغًا حوله فاخذ يفكر بالزواج . وكان فيكتور قد عرف في صباه فتاة تُدعي مدموازل ادال فوشه وكان يحبها اشد حب . وقد كانت الفتاة تحبه ايضًا الا ان اباها لم يرضَ عن هذا الحب لان فيكتور كان فقيرًا لا يملك شيئًا . اما ابوه فانه اقترن بعد وفاة زوجته بالكونتس دي سالكانو ولذلك غضب فيكتو هيغو من عمله وابتعد عنه . على ان ذلك لم يكن يوقعه في الياس بل انه لجاء الى صناعة الادب يفرج بها همه ويطلب منها خبزه . واكرم بها من صناعة تسلي الانسان العاقل عن جميع هموم العالم ومصائب الحياة وتبني له في صميم قلب الانسانية ما يريد بناءه من الآثار الخالدة

فنشر الفتى هيغو في عام ١٨٢٢ كتابًا منضمنًا قصائد مختلفة . فلما أطلع الملك على هذا الكتاب اعجب به ومنح مؤلفه الف فرنك من جيبه الخاص . وكانت المكاتبات في اثناء ذلك دائرة بين فيكتور وحبيبته ادال . وقد نُشرت رسائلها منذ مدة في كتاب عنوانه «رسائل الى الخطيبة » وكله كلام ارق من النسيم واحلى من الشهد . وكفى ان يقال انه من فيكتور هيغو وتلك النفس اللطيفة التي ملاءها من روحه . فلما راى ابو ادال عند صدور الكتاب الذي تقدم ان الملك يعطف على فيكتور هيغو و يساعده سقطت معارضته في هذا الزواج وعلم ان اصهره مستقبلاً عظيمًا . فكانت خطبة فيكتور هيغو لادال غاية غاياته واقصى امانيه . وقد كتب ابو ادال الى ابي فيكتور هيغو يجيبه الى ما طلبه من تزويج ابنه بابنته وقال له في هذا الكتاب انه من سوء حظه لا يستطيع ان يمنح ابنته من الدوطة الا ما قيمته ثلاثة الاف فرنك من الاثاث . وانه سيخلي للعروسين قسماً في منزله يعيشان فيه بجانبه الى ان يصير فيكتور قادرًا على الاستقلال في منزل وحده . وكان ابو فيكتور هيغو يومئذ في حاجة ايضًا وهو يطلب من لجنة التعويضات العسكرية النظر في ما يستحق من

التعويض عن الخسائر التي اصابته بعد حروب نابوليون . ولما اقترن فيكتور هيغو بحبيبته ادال جاءه ناشر كتابه ودفع اليه سبعمائة فرنك وهي ريحه من الكتاب الذي تقدم ذكره فابتاع العريس بهذا المبلغ لعروسه شالاً كشميرياً . وهذه كانت هدية زواجه وكل ثروته

وبعد الزواج اكبَّ هيغو على الكتابة لعلمه انها مورده الوحيد وسلم ارتقائه في المستقبل. ولم يعقه زواجه عن التفرغ الى عمله . فنشر اولاً رواية « هانديسلاند » دون ان يضع عليها اسمه . وموضوع هذه الرواية تمثيل الهول الانساني وحب الانتقام الفظيع اعظم تمثيل. وقد تحدى فيها الكاتب الانكليزي ولترسكوت لانه كان كثير المطالعة لكتبه . وفي العام الذي صدرت فيه هذه الرواية صدر امر الملك بتعيين راتب سنوي له قدره الفا فرنك . فمنذ هذا الحين تنفس فيكتور هيغو الصعداء وزاد انصباباً على عمله

***

﴿ الحرب الادبية ﴾ وفي هذه الاثناء تالف في باريز حول اسم فيكتور هيغو حزبان كبيران يصح ان يُسميا حزب القديم وحزب الجديد . اما الفرنسويون فانهم يسمونهما حزب الكلاسيك وحزب الرومانتيك . ومعنى الكلاسيك هنا الحزب الذي يوجب على الكتاب اتباع من تقدموهم من مؤلفي اليونان والرومان والفرنسويين وعدم الخروج عن قواعدهم المقررة. ومعنى الرومانتيك الحزب الذي يوجب تقديم قواعد الطبيعة على كل القواعد القديمة والحديثة . فاذا كتب فهو يكتب كما تملي عليه طبيعة الاشياء التي يكتب عنها بصرف النظر عن قواعد المتقدمين . وربما جاز ان يُسمي الحزبان حزب « الاتباع » وحزب « الابتداع » او حزب التقليد وحزب الاستقلال

رئاسته حزب الابتداع.

وكان فيكتور هيغو زعيماً لحزب الابتداع . ولا عجب في ذلك فان طبيعته التي سمت عن طبيعة كل شاعر فرنسوي قبله و بعده لجديرة بان لا تجد في من تقدمها شيئاً تقلده وان ترى ببصيرتها النيرة الفراغ الواسع الذي كان في اللغة الفرنسوية

وكان حزب « الاتباع » يباهي براسين وكورنيل وغيرهما من مؤلفي قرن لويس الرابع عشر. اما حزب « الابتداع » فيردُّ عليه بقوله ان المؤلفين الذين نبغوا في ذلك القرن كانت كتاباتهم عبارة عن صورة منعكسة عن هيئة قديمة مبنية على العبودية الادبية والسياسية والاجتماعية. اما اليوم فيجب نبذ تلك الطريقة القديمة وجعل الكتابة في هذا العصر سهلة مطلقة ومنطبقة على حاجاته ومقتضياته. فاصطلت نيران النزاع بين الفريقين وكان الخلاف شديداً حتى

انه لم يبقَ كاتب ولا شاعر الا انضمّ اليها . وكثيرون من كتاب الفرنسويين ذكروا في الايام الاخيرة تلك الحرب الادبية فقالوا : سقياً لعصر يصرف اهله هممهم الى تعزيز آرائهم الادبية ويقفون حياتهم لنشرها لا ان يجعلوا هممهم مصروفاً الى جمع المال للتمتع بملاذ الحياة كما يصنعون في هذا العصر . ولا ريب ان العصر الاول يُثمر ثماراً عظيمة ادبية واجتماعية يكون من ورائها ارتقاء البشر وتحسين الحياة في الارض . واما العصر الثاني فلا يُثمر الا شهوات ومطامع وازدحاماً وحشياً على الرزق وانانية شرسة تقوي الحيوانية في البشر وتُضعف الانسانية

فرغبة في الانتصار لحزب الابتداع انشأ فيكتور هيغو في سنة ١٨٢٣ مع بعض اصدقائه من الشبان جريدة « القريحة الفرنسوية » فدوت حينئذ في قاعات السيدات والسهرات والاندية العمومية والخصوصية صدى الخلاف بين الحزب القديم والحزب الجديد واشتد النزاع بين الفريقين ولكنه لم يكن قد بلغ اشدّه . وفي هذا العام صالح فيكتور هيغو اباه ونشر في جريدته قصيدة عنوانها « قصيدة الى ابي » . الا انه اقفل هذه الجريدة في العام التالي لينقطع الى التاليف والنظم . وفي هذا العام مُنح هو والشاعر لامارتين المشهور وسام جوقة الشرف من درجة شفاليه وحضر معه حفلة تتويج الملك شارل العاشر وقد نظم قصيدة في ذلك . وكان فيكتور حينئذ على وفاق تام مع لامارتين وقد زاره في سان بوانت ونزل ضيفاً عنده . الا انهما بعد ذلك تقاطعا « للعداوة الحانوتية » كما جاء في المثل الافرنجي « او لعداوة الصناعة » كما جاء في المثل العربي . وبئست هذه العداوة

ولما انقطع فيكتور هيغو الى التاليف نشر رواية عنوانها « بوك جاركال » ثم نشر منظومات عنوانها بالفرنسوية «اود و بالاد » فكان لهذه المنظومات تاثير عظيم . ثم نشر كتاب « كرومويل » وفيها مقدمة شديدة قطع فيها كل صلة لحزبه مع الحزب القديم . ومما قاله فيها ان حوادث الروايات يجب ان تكون كحوادث الحياة مختلفة متنوعة فليس يجب فيها مراعاة وحدة السياق ولا وحدة الزمان والمكان لان ذلك يخنق حوادثها خنقاً . ثم حمل في المقدمة حملة شديدة على ما في مؤلفات الحزب القديم من الجفاف والجمود والخروج عن الطبيعة بسبب القيود الغريبة التي يتقيدون بها

الشرقيات وليلة هرناني المشهورة

فكان لهذه المقدمة تاثير عظيم على الحزب القديم لانه اعتبرها بمثابة اعلان للحرب فعزموا على مقاومة هيغو واي مقاومة . وفي عام ١٨٢٨ مثل هيغو رواية « أمي روبسار » لحضر

حزب القديم التمثيل ولبث يصفر ويضحك كل الوقت فاضطرت ادارة التمثيل في اليوم التالي ان تبطل تمثيل هذه الرواية · وفي العام التالي نشر هيغو « الشرقيات » وكلها قصائد يصف بها الشرق واحواله وسنعود الى هذا الديوان في فرصة اخرى · فلما نُشرت « الشرقيات » (وقد كاد القلم يكتب « الشوقيات ») ارتاح اليها الجمهور الفرنسوي اشد ارتياح لان ناظمها صوَّر الشرق فيها تصويرًا راه الغربيون جديدًا جميلاً · وبعد ذلك نشر كتابه « اليوم الاخير لرجل حُكم عليه بالاعدام » وفيه احتج على عقاب الاعدام لانه كان من اشد المعارضين فيه · وفي عام ١٨٢٩ رام تمثيل رواية عنوانها « ماريون ديلورم » فمنعه قلم المراقبة من ذلك لما ورد فيها عن لويس الثالث عشر · ومن حسن حظه انه كان قد الف رواية « هرناني » ايضاً فدفعها الى التمثيل تعويضاً عما فاته · فسعى انصار الحزب القديم لدى الملك شارل العاشر لمنع تمثيلها فاجابهم الملك « انني في مسالة الروايات رجل مثلكم ما عليَّ الا مشاهدتها » · وفي الليلة التي مُثلت فيها هذه الرواية قامت قيامة الناس في قاعة الملعب · فقد حضر الى هذه القاعة اربعمائة شاب من الحزب الجديد وكثيرون من الحزب القديم · الاولون للتصفيق والاستحسان والآخرون للتصفير والضحك والاستهجان · وكان كل فريق عازماً على انفاذ غرضه وان افضى الامر الى الضرب · فحدث حينئذ في القاعة حادث في غاية الغرابة · فانه لما كان بطل الرواية يقول اقواله البديعة كان الحزب الجديد يصفق تصفيقاً يرتج له المكان ويصيح برافو برافو بينما كان الحزب القديم يصفر ويضحك ويصرخ صراخ الاستهجان · وقد قص الكاتب المشهور سنت بوف هذه القصة فقال ان الاستحسان كان اشد من الاستهجان فان رواية هرناني ضعضعت مبدأ الكلاسيك ودفعت مبدأ الرومانتيك مائة خطوة الى الامام · وقد مُثلت هذه الرواية ٤٥ مرة في سنة ١٨٣٠ وحدها وبها فازت الطريقة الرومانتيك فوزًا مبينًا

عدة مؤلفات

ومنذ هذا التاريخ صار الجمهور ينتظر مؤلفات هيغو ويعتبر صدور كل واحد من كتبه حادثًا عظيماً · فكتب الكاتب بعد ذلك رواية « كنيسة نوتردام دي باري » ونشرها في عام ١٨٣٠ فقراها الناس بارتياح شديد · وفي هذا العام ثار شعب باريز على الملك شارل العاشر فاستقال هذا الملك والتجأ الى انكلترا فاغتنم صاحب الترجمة هذه الفرصة وسعى في تمثيل روايته « ماريون ديلورم » التي منع قلم المراقبة تمثيلها في عهده · ثم نشر ديوانًا عنوانه « اوراق الخريف » وموضوعه وصف شؤون وعواطف بيتية ووصفًا في

غاية الرقة والانسجام ٠ وفي عام ١٨٣٢ عاد الى فن التمثيل فوضع رواية « الملك يتسلى » ولكن قام في اثناء تمثيلها بين الحزب القديم والحزب الجديد نزاع شديد اضطر ادارة التياترو الفرنسوي الى ابطال تمثيلها ٠ فرفع صاحب الترجمة الى محكمة التجارة قضية على هذه الادارة لابطالها روايته فخسر القضية ٠ فوضع المؤلف بعدها رواية « لوكريس بورجيا » فاصابت نجاحاً عظيماً عوضه ما فاته في الرواية السابقة وزاد اسمه ارتفاعاً بين المؤلفين ٠ وقد مثلت الممثلة مدام ردوه اهم ادوار هذه الرواية فاحبها هيغو حباً درى به الجميع حتى زوجته ادال المسكينة ٠ فآلمها ذلك ومحق قلبها سحقاً

ثم نشر هيغو في عام ١٨٣٣ « ماري تودور » وتلتها « كلود كو وبحث في ميرابو وانجيلو ظالم دي بادو » ثم تلاها في سنة ١٨٣٥ ديوان « نشيد الشفق » وفي ١٨٣٧ « الاصوات الباطنية » وفي ١٨٣٨ رواية « البورجراف » وفي ١٨٤٠ ديوان « الاشعة والاظلال » فبلغ بها هيغو ارفع منزلة بين شعراء عصره وصار المشار اليه بالبنان ٠ وكان عمره يومئذ ٣٨ سنة ٠ وكان شعب باريز يحوم في كل مساء حول منزله ليشاهده مع انصاره فكان هيغو يخرج الى شرفة منزله لمقابلته ٠ غير ان كثيرين من خصومه كانوا يفضلون عليه شاعراً نسي الفرنسويون اسمه اليوم وهو الشاعر بونسارد وكان بعضهم يقول : تباً لزمن يجوز فيه لاناس كهيغو نظم الاشعار

تاثيره وحكم المسيو هانوتو عليه

وفي عام ١٨٤٢ وضع صاحب الترجمة كتاباً اسمه « الرين » اقترح فيه رغبةً في استواء ميزان السياسة في اوربا ان تُقسم ممالكها بين فرنسا وبروسيا ٠ وبعد ذلك بقليل دخل الى ميدان السياسة ٠ وبما اننا وصلنا الآن الى اهم الادوار في ترجمة صاحب الترجمة فقد وجب ان نضع لذلك تمهيداً سياسياً وجيزاً ٠ غير اننا قبل ذلك نختم الكلام عن الحرب الادبية التي اثار غبارها على كتّاب زمانه بقولنا ان فيكتور هيغو قد احيي في فرنسا فن تاليف الروايات وتمثيلها لانه منح الملاعب الفرنسوية حريتها المطلقة وفكها من قيد وحدة السياق ووحدة الزمان والمكان الذي كانت تتقيد به قبله ٠ وقد بثّ في لغتها روحاً طبيعياً جديداً احيى به فنّ الشعر وغير طريقة الكتابة والتاليف ٠ ولذلك قال المسيو هانوتو في الخطاب الذي تلاه في يوم الاحتفال العظيم الذي اقيم له في البانثيون في الشهر الماضي من قِبل الاكاذمية الفرنسوية الذي كان مديرها في هذا العام « اذا حلّت بمؤلفات فيكتور هيغو مصيبة افنتها وذهبت بها فان اثره لا يذهب بذهابها لان التاثير الذي كان له على اللغة

الفرنسوية يبقى فيها ما بقيت هذه اللغة في حيّز الوجود » وكفى بذلك ثناء على عمل هيغو الادبي . فلننظر الآن في عمله السياسي

***

﴿ الحرب السياسية ﴾ وتمهيداً لذلك نذكر لمحة من تاريخ فرنسا منذ الثورة اتماماً للفائدة وايضاحاً للحوادث التي سيرد ذكرها

تاريخ ٤٠ عاماً

بعد اعدام الملك لويس السادس عشر وقيام الجمهورية كما نقص ذلك في روايات (نهضة الاسد وفريسة الاسد) بات الفرنسويون حزبين . حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة . ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتدّ الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة . ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طماعاً لا يهنأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فحارب بروسيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسبانيا وانكلترا فغلبها كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة . ولما سيق نابوليون اسيراً الى جزيرة القديسة هيلانه اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا الملك لويس السادس عشر الذي قُتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) . اما ابن الملك لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر . غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً نحيف الجسم فمات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى الملك لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضايقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حل البرلمان ارضاء للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه . وذلك مما يدل على ان اصطدام الافكار والمبادىء بين الملكيين والجمهوريين كان مستمراً ولم يقف ابداً . وقد عاصر فيكتور هيغو هذا الملك كما تقدم . وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبونابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك ولجأ الى انكلترا . وكان لهذا الملك اخ ثان يُدعى فيليب وكان مشهوراً بميله الى المبادىء الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » وفي ايامه دخل هيغو الى ميدان السياسة كما تقدم

وكان لويس فيليب يميل الى هيغو ويعجب بمواهبه وقد اهداه رسماً جميلاً يمثل تتويج اينس دي كاسترو . وكان هيغو من المعجبين بحوادث نابوليون الاول وقد نشر في عام ١٨٤٠ ديواناً عنوانه « قصائد عن نابوليون » فيه ابلغ وصف لعظائم نابوليون وعجائبه الحربية . فلم يسخط لويس فيليب من ذلك الثناء على خصم اسرته بل رقى ناظمه الى مجلس النبلاء وجعله عضواً له باسم الفيكونت فيكتور هيغو . وقد القى فيكتور هيغو في هذا المجلس عدة خطب في الانتصار لبولونيا والاذن لاسرة بونابرت في العودة الى فرنسا وغير ذلك . وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة الملك لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو كان واقفاً في وجه كل اصلاح وقد منع بعضاً من انصار حزب الاصلاح من اقامة اجتماع في المدينة . فتنازل حينئذ الملك لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري ولكن الشعب رفض ذلك والف حكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية . وهي الجمهورية الثانية

وكان فيكتور هيغو في اثناء ذلك من حزب اليمين اي الملكيين الا ان كتاباته يومئذ كانت تدلُّ على دخول روح حر جديد الى نفسه . وقد انشأ في هذا العام مع ولديه شارل وفرنسوى هيغو جريدة سماها « الافنمان » اي الحادثة وانتصر فيها اشد انتصار للويس بونابرت الذي كان مرشحاً نفسه لرئاسة الجمهورية مع ان لا مارتين كان يعارض في هذا الامر مع كل الحزب الجمهوري معارضة شديدة . ومن هو لويس بونابرت هذا ؟ هو الرجل الذي اصبح بعد ذلك « الامبراطور نابوليون الثالث » فيالغرابة الحوادث البشرية التي جعلت هيغو يحث الحكومة على ارجاع اسرة بونابرت الى فرنسا و ينتصر لزعيمها الذي طلب النيابة عن الشعب في مجلس النواب فرئاسة الجمهورية نفسها رغبة في ان يصنع بها ما صنعه عمه نابوليون الاول — ثم ينقلب عليه ليهدم العرش الذي ساعده على بنائه

نفيه والصراع بينه و بين نابوليون الثالث

وفي ٢ دسمبر من عام ١٨٥٢ اغتصب لويس بونابرت الحكم وهو رئيس الجمهورية ليجعل نفسه امبراطوراً فثار شعب باريز لهذا السبب . ووقف الفيلسوف جول سيمون في قاعة مدرسة السوربون يصيح من منبر الخطابة : قد داس الدستور ذلك الذي عُهد اليه ان يصونه . فعزل الفيلسوف في اليوم الثاني من وظيفته فتركها غير آسف عليها لانتصاره للحق ودستور الدولة . اما فيكتور هيغو فان روحاً جديداً دبَّ يومئذ في نفسه . فقد تمثلت له الجمهورية فتاة ضعيفة جاءها رجل قوي وقتلها فقام في نفسه في الحال ان ينتصر للضعيف ضد القوي . ومنذ هذا الحين صار جمهورياً بحتاً واصبح اشد الجمهوريين انتصاراً للحرية

وقد ذكر جول سيمون في كتاب له صدر في هذا العام وموضوعه تاريخ حياته ان فيكتور هيغو التقى به في اثناء هذه الثورة وقال له هل تظن اذا جعلتُ الجنود يقتلونني ان الطلبة يثورون ثورة واحدة انتصارًا لي . فاجابه جول سيمون لا ريب في ذلك عندي . فقال فيكتور هيغو سنرى . ثم سار الى حي الطلبة . فسال احد الواقفين جول سيمون هل تظنه يقتل نفسه فاجاب هذا الاستاذ الكبير الذي خبر كل شؤُون الحياة : ربما ولكن حي الطلبة بعيد من هنا ...

وقد حاول فيكتور هيغو اثارة الشعب في ذلك اليوم ثورة تُسقط المغتصب عن عرشه فلم يستطع ذلك مع ما نشره من المنشورات والمخاطبات للامة . فلما تحقق ارتخاء عزائم الشعب وخيبة مساعيه رام السفر الى بلجيكا فارسل اليه نابوليون الثالث سيدة تقول له : ما رايك في مصالحة الامبراطور . فاجاب صاحب الترجمة انه لا يُصالح . فقالت له وان فتحتُ الآن هذا الباب ودخل منه الامبراطور الى بيتك فماذا تقول له . فاجاب اقول له انك في بيتك ثم انني اخرج واذهب في سبيلي

وفي ١١ دسمبر من ذلك العام اي بعد مرور تسعة ايام على يوم الاغتصاب سافر فيكتور هيغو الى بلجيكا منفيًا من وطنه مع كثيرين من الحزب الجمهوري . فاقام في بروكسل واخذ يشتغل فيها للانتقام من نابوليون . فساعدته الاحوال في ذلك مساعدة ما قبلها ولا بعدها مساعدة . فقد كان الحزب الجمهوري متفرق الكلمة وهو بحاجة الى نفير يدوي صوته في كل الضمائر الحية فينبه الغافلين ويحمس الساهرين وراية عالية تبقى منصوبة بكبرياء وعظمة امام عدو الجمهورية : فكان هيغو ذلك النفير وتلك الراية . وكانت اوربا كلها تنظر الى فرنسا بعين الحيرة والخوف لعودة الامبراطورية البونابرتية اليها . فلما اصدر هيغو من بلجيكا ديوانه « نابوليون الصغير » يعني نابوليون الثالث تزعزع له العرش الامبراطوري وتخاطفه الناس في اوربا كلها . فضغطت حكومة نابوليون على بلجيكا لتطرد صاحب الترجمة فسنت بلجيكا نظامًا جديدًا يقضي بخروجه من بلادها . فنفض صاحب الترجمة عن حذائه غبار الاضطهاد وسار الى جزيرة جرسي الانكليزية مصطحبًا ابنته ادال وزوجته ونجليه فرنسوى وشارل فوجد في هذه الجزيرة كثيرين من رفاقه الجمهوريين وهم ينشئون فيها جريدة تُدعى « الانسان » يطعنون فيها على الامبراطورية طعنًا شديدًا . فاستقبله هؤلاء الرفاق اكرم استقبال وصار زعيمًا لهم . ولما استقر به المقام في هذا الملجاء اعاد الكرة على نابوليون فنشر ديوانًا عنوانه « العقاب » فكان ابلغ ما خطته يد انسان في الطعن على خصم او عدو . وصار

الناس في جميع البلاد المتمدنة لا يهنأ، لهم عيش الا اذا قرأوا ما يكتبه شاعر الجمهورية عن قاتلها ومغتصب حقها · فادرّت هذه الكتب على مؤلفها اخلاف الثروة وهو في منفاه وشفت غليل نفسه الشديدة البغض والحب بالانتقام من نابوليون· ولكن نابوليون انتقم منه ايضاً بان جعل حكومة انكلترا تطرده من جرسي فسار الى جزيرة كيرنيزه وابتاع فيها منزلاً جميلاً كان مهملاً لان السكان كانوا يزعمون ان الارواح اتخذته مسكناً لها · واسم هذا المنزل « هوتفيل هوس » واليه يحج اليوم كل المعجبين بهذا الشاعر· ومن هذا المنزل صدرت كثير من كتب المؤلف اهمها « التاملات » و« خرافات القرون الخوالي » «وشكسبير» و « عملة البحر » و « الادب ممزوج بالفلسفة » و« اغاني الشوارع والغابات » و« الرجل الضاحك » ·

المیزرابل

ولكن اهمّ هذه المؤلفات كتابه « الاشقياء »او التعساء او البوءساء (الميزرابل) وقد اظهر فيه المؤلف فلسفته وكل قوى نفسه الشعرية والاجتماعية · وموضوع هذه الرواية لص يرفعه المؤلف فيجعله رجلاً كريماً شريف الاخلاق وامراة ساقطة يُنهضها المؤلف ويرفع نفسها· ويتخلل ذلك حوادث تاريخية وادبية واجتماعية لم يخط مثلها قلم على قرطاس · وقد كتب المؤلف في مقدمته يقول انه ما دام في الوجود شقاء وفقر وسجون وظلم اجتماعي فان كتاباً ككتابه يبقى نافعاً

ولما انتشر هذا الكتاب كان انتشاره حادثاً عظيماً · وقد ارادت حكومة باريز حذف شيء منه لانه طُبع في باريز فبعث المؤلف الى ناشره يتوعدها بقوله ابلغهم انهم اذا اصروا على الحذف فانني اعود الى « نابوليون الصغير » و « العقاب » فتركته حينئذ حكومة نابوليون وشانه خوفاً من قلمه الذي كان مداده الكهرباء وكلماته الصواعق · وقد صار منزل مؤلف هذا الكتاب بعد صدوره مقصداً لاهل العلم والادب والشعر فكانوا يحجون اليه من كل اقطار العالم ليشاهدوا نصير الانسانية ومحامي الضعفاء

انتصاره على نابوليون

وكانوا اذا قالوا له لماذا تصرّ على ابتعادك عن وطنك فان الامبراطورية صارت في جاه وعز وارتفعت كلمة فرنسا في العالم · فانه كان يجيبهم بقوله انتظروا : فعند صفو الليالي يحدث الكدر · واذا قالوا له ان اصدقاءك يُسالمون الامبراطورية واحداً واحداً فانه كان يقول في شعره : ولو لم يبقَ الا واحد امينا للحرية فانني ساكون ذلك الواحد· ولما اصدرت

الحكومة الفرنسوية قرارًا بالعفو العام وعودة كل المنفيين الى وطنهم رفض صاحب الترجمة قبول هذا العفو والعودة الى وطنه قبل ان تعود الحرية اليه . وكان يصرف اكثر اوقاته على شواطيء جزيرة كيرنيزه بين الرمال والصخور متاملاً في الطبيعة ودارساً عناصرها ومناجياً نفسه بالمواضيع التي يروم التاليف فيها . وقد اقام في منفاه نحو ٢٠ عاماً

ولو ان نابوليون الثالث فاز في سياسته ولم يدفع فرنسا الى محاربة المانيا لما انتصر هيكو عليه ذلك الانتصار الهائل ولما كان لصوته الصدى الذي له الآن . ولكن نابوليون كان قد سكر بخمر الفوز وراى اوربا كلها تحت يده فرام ان يحذوا حذو عمه . فحاربه الالمانيون في سنة ١٨٧٠ واسروه في واقعة سيدان ونادى الشعب في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية . فلما سمع صاحب الترجمة بذلك اسرع الى باريز قبل ان يحصرها العدو فدخل اليها باحتفال عظيم . وقد كان دخوله اليها دخول نبي تنبأ « بعقاب » المغتصب وسقوط عمله فصدقت نبوءته . ومما زاده رفعة انه كان من اكبر المساعدين على هذا السقوط لان قصائده المملوءة تهكماً هائلاً وطعناً قاتلاً كانت تصغّر نابوليون في عيون اوربا وفرنسا معاً وتضحك الناس منه ضحكاً متتابعاً تتضعضع له اقوى العروش واسماها . وهكذا انتصر هذا الشاعر في حربه السياسية كما انتصر في حربه الادبية

هيغو في الحرب و بعدها

ولما عاد صاحب الترجمة الى باريز وحصرها العدو صار نقطة دائرة الادب واصبح صوته نفيرًا رنانًا يبث الحياة والحرارة في نفوس المحصورين ويحثهم على الحرب والمقاومة . وكان ينشر القصيدة بعد القصيدة في هذا الموضوع . وبعد الحرب جمع هذه القصائد فتالف منها ديوانه « السنة الهائلة » . وفي اثناء الحصار اعاد طبع كتابه « العقاب » وخصص ايراده بصنع المدافع للاستمرار في الحرب ومساعدة المستشفيات . فكانه كان يومئذ حياة باريز وروحها يحث على الدفاع عنها الى آخر نسمة من حياته . وبعد سقوط باريز في يد العدو ثار الشعب على الحكومة الجمهورية الوقتية التي تالفت يومئذ لانه كان في ريبة من اخلاصها للحرية بسبب ما كان يراه من موءامرات الحزب الامبراطوري والملكي . وهذه الثورة تعرف في تاريخهم بثورة « الكومون » وقد استولى الشعب فيها على باريز وحارب الحكومة وكانت قد فرت منه برئاسة المسيو تيبرس الى فرساليا فجرت الدماء انهارًا من الفريقين . اما فيكتور هيكو فانه رمى بنفسه بين الحزبين فعارض حزب الكومون في ما قرره من هدم عمود فندوم الذي كان قائماً عليه تمثال نابوليون الاول وحثه على ترك الفظائع

وعارض حزب الحكومة لما راى جنودها تفتك برجال الكومون كانهم اعداء في ساحة حرب لا ابناء وطن واحد . ثم انتخب الشعب في باريز صاحب الترجمة عضواً في مجلس النواب الذي كان مجتمعاً في بوردو فعارض هيكو في عقد الصلح واصرّ مع غمبتا على وجوب الاستمرار في محاربة الالمانيين . وبينما كان في ذات يوم يخطب في المجلس ويمدح غاريبالدي الايطالي قطع كلامه الحزب الامبراطوري والملكي غير مرة وكادوا يمنعونه من الكلام بضوضائهم فاستقال يومئذ من المجلس

وفي عام ١٨٧٢ انشأ مع ابنه فرنسوي جريدة ديموقراطية سماها « الشعب الملك » .

وفي عام ١٨٧٦ انتخب عضواً لمجلس الشيوخ فالقى فيه خطبة دافع بها عن رجال الكومون . ثم انصرف الى النظم والتاليف . فنشر الكتب التالية « الاقوال والاعمال » وقد قصد به ذكر المبادىء التي تقلب بينها في اثناء حياته الادبية والسياسية ليبرىء نفسه بسبب انحيازه الى الجمهورية . و« سنة ٩٣ » وموضوعه وصف في غاية السمو لاهم ادوار الثورة الفرنسوية . و« كيف تكون جداً » وهو يتضمن قصائد عيلية ورد فيها وصف حفيده جورج وحفيدته جانّ اللذين كان يلاعبهما وقد خلد اسمهما بهذا الوصف وهذه الملاعبة . ولا يزال الآن جورج في قيد الحياة وقد كتب قبل الاحتفال الذي اقيم لجده في الشهر الماضي مقالة في احدى الجرائد الفرنسوية ذكر فيها كيف كان جده يلاعبه هو وشقيقته جانّ وكيف كانوا ينادونه « بابابا » . وقد حضرت اخته جانّ الاحتفال بعيد جدها فكان الناس يقولون عند رؤيتهما هذا جورج وهذه جانّ اللذين وصفهما شاعرنا . فلا ريب انهما كانا في ذلك اليوم حبيبين الى كل القلوب

وفي عام ١٨٧٧ نشر صاحب الترجمة « تاريخ جناية » يريد جناية اغتصاب نابوليون الثالث للملك . وقد نشر هذا الكتاب قبيل الانتخاب العمومي ليؤثر على الراي العام ويذكره بالاغتصاب فينتخب للنيابة الجمهوريين دون سواهم . فكان لهذا الكتاب دوي عظيم في فرنسا واوربا . ثم نشر من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٣ « خطب فولتير » و« ملك الجمهور » و« البابا » و« الشفقة العليا » و« الحمار » و« الديانة والديانات » و« اربع جوانب العقل » و« توركاده » و« ارخبيل المانش »

احتفال الشعب بحياته ومماته

وفي عام ١٨٨٢ بلغ صاحب الترجمة الثمانين من عمره . فقامت باريز وقعدت في ذلك اليوم احتفالاً بهذا العيد . فان خمسمائة الف نفس من الشعب توافدوا من جوانب باريز

الاربعة على نغم الآلات الموسيقية الى منزل هذا الشيخ الجليل . وكانوا ينادون بعضهم بعضاً في الطرق هلموا هلموا الى معايدة « الاب هيكو » . فلما اطلَّ جمعهم على منزله صعد الشيخ الجليل الى شرفة المنزل مع حفيديه جاك وجان وحينئذ حدث حادث لم ترَ مثله عينان ولم تسمع به اذنان . فان الوفاً من الشعب رفعت في الفضاء ايديها كغابات مشتبكة هاتفة « فليحيي الاب هيكو » وهيكو يبكي وهو واقف على الشرفة بين حفيديه ويشير مسلماً ومرسلاً اليهم القبلات العديدة . وقد استمر واقفاً هنالك نحو ساعة والالوف تسير امامه على نغم الموسيقى وتجدد الهتاف له . ولم يكن هذا العيد عيد هيكو ولكنه كان عيد امتزاج روح الشعب بالعقل العظيم والقلب الكريم الذي وقف نفسه لخدمة بني جنسه

ولم تحتفل به باريز يومئذ ذلك الاحتفال الذي لا يزال له تاثير الى اليوم في نفوس اهلها الا لان الشيخ هيغو اصبح في ذلك الزمن روح عصره وشيخ الحرية وملاك الانسانية . وكانت الحيوانية التي املت عليه ذلك البغض الشديد لنابوليون الثالث وحكومته قد أفلتت من جسمه بعد الانتصار و بلوغه اقصى حدود الشيخوخة كما يفلت الماء متبخراً من القدر المنصوبة على النار . ولم يبقَ في ذلك الهيكل الضخم الذي كان يكلله تاج من الشيب الجليل المهيب كانه قمة شامخة من قمم حملايا او الالب سوى الانسانية الرقيقة الشفوقة التي تذوب حناناً وشفقة على مصائب البشر وتعاستهم . ففي هذا الزمن كان هيغو يقول في شعره « بارك الله في من يحبني وفي من يبغضنى » وايضاً « لو وقع في يدي من يروم اضطهادي ونفيي لاحسنتُ اليه وعطفت عليه . ولو كنتُ يسوع المسيح لانقذت يهوذا الاسخريوطي » و بناء عليه كان هيغو بمثابة جد واب لابناء عصره بل كان بمثابة اثر جليل من عصر تاريخي قديم . وكانوا يسمونه « الاب » من فرط احترامهم له وكان منزله في باريز كعبة يحجُّ اليها اهل العلم والسياسة والادب من كل اقطار العالم .

وفي عام ١٨٨٥ بلغ الشيخ هيغو اقصى حدود الشيخوخة فلما دنا اجله اقام اثنين من اصدقائه لتنفيذ وصيته ونشر ما بقي غير منشور من مؤلفاته . وكان من جملة ما اوصى به ان يُدفن في نعش الفقراء ليجعل نفسه قريباً من الشعب في وفاته كما كان قريباً منه وخادماً له في حياته . وقد اقام هيغو ثمانية ايام في النزع . ولما اتمَّ انفاسه ونودي في العالم ان فيكتور هيغو فرجيل المتأخرين وهومير الفرنسويين قد مات قامت فرنسا قومة واحدة الى منزله . و بكى الشعب وفاة « ابيه » والشعراء وفاة زعيمهم . واوفدت الحكومات الاوربية والمجامع العلمية والادبية وفوداً لحضور جنازته . فشيعت جثة الفقيد العظيم على نعش الفقراء

الى البانثيون وسط زحام هائل لم يسبق له مثيل . وكان لسان حال كل واحد من مشيعيه ينشد ما قاله جناب شوقي بك فيه

ستدوم ما دام البيان وما ارتقت ... للعالمين مدارك وشعورُ
ولئن حُجبتَ فانت في نظر الورى ... كالنجم لم يُرَ منه الا النورُ
لولا التقى لفتحتُ قبرك للملا ... وسألتُ اين السيد المقبورُ
ولقلتُ ياقوم انظروا انجيلكم ... هل فيه من قلم الفقيد سطورُ
مَنْ بعده ملكُ البيان فعندكم ... تاج فقدتم ربه وسريرُ
مات القريض بموت هيغو وانقضى ... ملك البيان فانتم جمهورُ
فقدت وجوه الكائنات مصورًا ... نزل الكلام عليه والتصويرُ
كشف الغطاء له فكل عبارة ... في طيها للقارئين ضميرُ
مسلي الحزين يفكه من حزنه ... ويرده لله وهو قريرُ
ثأر الملوك وظل عند ابائه ... يرجو ويأمل عفوه المثؤورُ
واعار واترلو جلال يراعه ... فجلال ذلك السيف عنه قصيرُ
انت الحقيقة ان تحجب شخصها ... فلها على مر الزمان ظهورُ
ارفع حداد العالمين وعد لهم ... كيما يعيد بائس وفقيرُ
وانظر الى البؤساء نظرة راحم ... قد كان يسعد جمعهم ويجيرُ
الحال باقية كما صورتها ... من عهد آدم ما بها تغييرُ
البؤس والنعمى على حاليها ... والحظ يعدل تارة ويجورُ
ومن القوي على الضعيف مسيطر ... ومن الغني على الفقير اميرُ
والنفس عاكفة على شهواتها ... تاوى الى احقادها وتثورُ
والعيش آمال تجدّ وتنقضي ... والموت اصدق والحياة غرورُ

فكان هذا الاحتفال بماتم الفقيد اعظم احتفال جرى في باريز كما قيل

***

﴿ احتفال الجمهورية بتذكاره ﴾ ولكن بعد انقضاء ١٧ عامًا على ذلك الاحتفال اقيم لفيكتور هيغو احتفال آخر يشبهه . فان الجمهورية الفرنسوية قررت في هذا العام الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على هذا الشاعر (لانه ولد في عام ١٨٠٢ كما تقدم) وقد اقامت في ٢٦ فبراير هذا الاحتفال امام قبر الفقيد في البانثيون تحضره كل ذي شهرة في

باريز في العلم والسياسة والرئاسة وفي مقدمتهم وكلاء الدول ووفود من النمسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها . وقد خطب وزير المعارف في هذه الحفلة امام رئيس الجمهورية فكلل الفقيد بازهار البلاغة والثناء وختم خطبته بقوله : انني باسم الجمهورية الفرنسوية احييك ايها الشاعر العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما كانت واكثر حنانًا » — ثم تلاه المسيو هانوتو بالنيابة عن الاكاذمية الفرنسوية وقد ذكرنا في اثناء الكلام عن الحرب الادبية في هذه المقالة خلاصة ما قاله في هذه الخطبة عن تاثير هذا الشاعر . انما نقول في هذا المقام ان فيكتور هيغو طلب الدخول في الاكاذمية مرتين قبل نفيه من فرنسا فكانت الاكاذمية يومئذ تفضل عليه اناسًا نسي الفرنسويون اسماءهم اليوم . ولم تقبله الا في المرة الثالثة

وفي هذا اليوم الذي حضر فيه رئيس الجمهورية والوزراء والكبراء هذه الحفلة في البانثيون حضروا ايضًا حفلة اقيمت في «ساحة فيكتور هيغو» في باريز امام المنزل الذي كان يسكنه الفقيد في حياته . وفي هذه الحفلة كُشف الستار عن التمثال الذي انشىء لفيكتور هيغو في هذه الساحة المسماة باسمه . وقد زُين المنزل والتمثال اجمل زينة ونصب فوق البيت جسم بلوري يمثل فتاة تحمل بيدها مصباحًا وقد رمزوا بها الى « ملاك الشهرة » وهو يهبط عليه في بيته . وقد انير هذا الجسم في الليل فكان له منظر يسحر الالباب

وقد اقيمت في ذلك اليوم احتفالات عظيمة في ايطاليا والنمسا وبلجيكا ومصر وكل المستعمرات والمدن الفرنسوية اكرامًا لهذا التذكار ايضًا . واشترك في هذه الاحتفالات جميع العالم المتمدن في كل الاقطار . ولم تخلُ جريدة من جرائد الدنيا في ذلك الاسبوع من الكلام عن صاحب الترجمة

اما المسيو ادمون روستان شاعر فرنسا اليوم فانه صرف ذلك اليوم في قرية « هرناني» الاسبانية التي سمى هيغو احسن رواياته باسمها وقد تقدم ذكرها في هذه المقالة . وقد نظم في هذه القرية قصيدة طويلة اهداها الى جناب المسيو « بول موريس » صديق فيكتور هيغو ومنفذ وصيته والساعي في انشاء تمثاله . وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الغولوى اولاً ثم جُمعت في كراس على حدة . وفي ختامها يقول هذا الشاعر ما خلاصته « كلنا اليوم تلامذة الاستاذ هيغو . فابتسم لنا ايها الاستاذ وامنحنا الثقة بانفسنا لنستطيع ان نجترىء ونمسك القلم بعدك » وقد ذكرنا هذا الخبر لان هذا الثناء اعظم ثناء يُقال في فيكتور هيغو

وهذه القصيدة مطبوعة في ٣٠ صفحة علي ورق صقيل جميل • ولدينا منها نسخة واحدة نقدمها هدية لمن يسبق الى طلبها من حضرات القراء

***

﴿ ترجمة احدى قصائده ﴾ ولقد ذكرنا موءلفات هيغو في ما تقدم وبقيت له موءلفات اخرى كثيرة نُشرت بعد وفاته وهي « اطلاق فن التمثيل » و« عاقبة الشيطان» و« الله » و« اشياء منظورة » و« كل القيثارة » و« الاوفيانوس » و« في السفر » و« فرنسا وبلجيكا » و« الالب والبيرينه » وغيرها من الموءلفات العديدة التي لم يتم نشرها الا في هذا العام اذ نُشرت فيه خاتمتها وهي ديوان عنوانه « النبتة الاخيرة » • وسنخصص للقراء في الجزء القادم شيئاً من اهم الكتابات التي كتبها هيغو لاطلاعهم على آرائه وفلسفته المبنية على المبادىء الانجيلية الاشتراكية • اما الآن فنكتفي بنشر ترجمة احدى قصائده في نابوليون الاول الذي كان هيغو يجله بقدر ما كان يحتقر نابوليون الثالث كما تقدم • وقد اتحفنا بهذه القصيدة احد اصدقاء المجلة

نابوليون الاول

ملخصة من قصيدة لفيكتور هيغو صاحب الترجمة بقلم جناب الشاعر الناثر طانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء

يُمثَّل لي حتى يُجَسَّم في فكري ... ويعظم لي حتى يضيق به صدري
واطلق افكاري ارتياداً لوصفه ... فالقاه مني فوق مرتبة الفكرِ
وانظم فيه الشعر رفعاً لقدره ... فيغلو به شعري ويعلو به قدري
ويخفق مني القلب حين احتلاله ... لقلبي فيمسي في احرّ من الجمرِ
اراه وقد خاض الصفوف مظفراً ... بطعنته النجلاء والفتكةِ البكرِ
يشاغل عن بيض وسمر فؤاده ... ويبني اساس العرش بالبيض والسمرِ
اراه وقد قاد الالوف فما مشى ... الى الحرب الا تحت الوية النصرِ
يسيّر للاعداء ابطال جيشه ... فيسبق هذا الجيش جيش من الذعرِ
اراه بوادي النيل والجند حوله ... ظماء الى مجد عطاش الى فخرِ
يقول انظروا الادهار ترنو اليكمُ ... مشيراً بيمناه الى هَرَميْ مصرِ
اراه وقد اضحى بباريس قنصلاً ... ولم يتمادى بعد في حلبة العمرِ

يؤيد جمهورية القوم ظاهرًا ويهدمها كي يبلغ الملك بالسر
اراه مليكاً لم يخف جور دهره وقد كان يُخشى ان يجور على الدهر
يقلد تيجانًا وينشي ممالكًا وينظر بسامًا لكوكبه الدري
اراه ولا كفران تبسط نفسه له فتح ابواب السماوات بالقسر
فلم يبقَ ما بين السماء وتاجه باعين اصحاب المجاز سوى فتر
اراه اسيرًا في بقاع جزيرة تسامت به حتى غدت ربة البحر
مقيماً على صخر يرى عرشه وقد تصدع لما لم يؤسس على صخر
فلما دعا داعي المنون ومثّلت لعينيه اشباح الردى هوّة القبر
واطفأ ريب الدهر انوار نجمه وقصت يداه جانحي ذلك النسر
وفكّر في ماضيه دون ندامة ولم يخشَ في الآتي عقاباً على وزر
وحدّق بالاكفان لم ير فوقها سلاحاً ينيل الفتح في موقف الحشر
جرت دمعة من عينه وهو مطرق فكانت لاقلام التواريخ كالحبر
ولم يك هذا الدمع الا لانه تمنى الردى ما بين عسكره المجر
ولم يكن الاطراق الا تعاميًا عن الناس حتى لا يرى اثر الغدر
فلم يعجب التاريخ في صفحاته باخلق من هذا المخلد بالذكر
ولم اره فيما مضى من جلاله باعظم منه حين قُيد بالاسر

الخاتمة

قول يُهدى الى شعراء الشرق وكتابه وامهاته .

ولقد طالت هذه المقالة فوق ما كنا نريد فترتب علينا الآن ان نختتم الكلام بقول فيه تمام الفائدة فنقول

بماذا امتاز فيكتور هيغو عن اقرانه حتى استحق ذلك المجد العظيم الذي لبس تاجه ؟ الجواب انه امتاز بعدة امور. منها . اولاً انه وُهب مواهب خصوصية كانت تجعله اذا مسّ احقر المواضيع صيره سامياً رفيعاً فكأنه ساحر يتناول التراب فيجعله تبرًا . ثانيًا انه عاش في وسط ادبي كان محتاجاً الى مثله فاحيى اللغة الفرنسوية بما ادخله اليها من التعابير والاساليب الجديدة وفك التمثيل من قيده كما تقدم بيانه . ثالثًا ان آمال الجمهوريين كلها قد تجسمت فيه ولما انتصرت الجمهورية بعد ذلك عُدّ انتصارها انتصارًا له وكان

نفيرها الاعلى ٠ رابعاً ان الالمانيين اسقطوا فرنسا في زمنه واستولوا على باريز بعد سقوط الامبراطورية فصارت فرنسا في ضعة وصغار بعد عزها ومجدها ولم يبقَ لها شيء كبير تفاخر به العالم غير « الشاعر هيغو » الذي كانت جميع الانظار في جميع الاقطار شاخصة اليه تنتظر كلامه السحري ونظمه الدري٠ فكأن كل عظمة فرنسا الماضية اجتمعت يومئذ في نفسه٠ خامساً ان فلسفة هيغو مبنية على حب الانسانية ومساعدة الضعفاء والرفق بالشعب واعتباره انه الانسانية الحقيقية٠ وحسبنا شاهداً على ذلك كتابه « الميزرابل » الذي هو اهم كتبه فانه عبارة عن وصف الشعب واطراء صفاته الطبيعية ٠ ولذلك كانت مبادىء هيغو عامة لكل شعب من الشعوب وشديدة التاثير في كل امة من الامم لان كل واحدة منها تظن عند الاطلاع عليها ان هيغو انما كتبها من اجلها ٠ فكانه كان يخاطب الانسانية كلها لا فرنسا وحدها

هذه اخص مزايا هذا الرجل العظيم ولكن كل هذه المزايا صغيرة في راينا بالقياس الى مزية لم نُشر بعدُ اليها ٠ وهذه المزية هي « صبره على العمل وانصبابه على التاليف والنظم ستين عاماً بلا انقطاع ولا تعب ولا ملل »

ولقد عددنا في هذه المقالة كل مؤلفات فيكتور هيغو في حينها فتعقبها الآن واحصها وقل لنا ماذا يظهر لك منها ؟ يظهر لك ان هذا الكاتب كتب مدة ستين عاماً وكان ينشر كتاباً من تاليفه في كل سنة تقريباً٠ اي انه كان يصرف كل اوقاته في المطالعة والكتابة والنظم ولم يكن له لذة في غيرها٠ فتارة ياخذ كتابه ويطوف شوارع باريز واطرافها متاملاً متفكراً في الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه ٠ ذلك لانه كان كثير الطلب للهواء النقي والخلاء ولولا ذلك لقتله عمله العقلي الطويل مع ما تقدم من نحافة جسمه في بدء عمره ٠ وطوراً يجلس الى مائدته خمس ساعات او سبع ساعات متتابعة وهو يسود صفحات الورق الابيض امامه بقلم يخط سحراً ويُبرز تبراً ثم يلقيها وراء ظهره على الارض واحدة وراء اخرى ٠ وكان لا يترك حادثة من حوادث زمنه الا وينشب اظفاره الاسدية فيها حتى صارت مجموعة مؤلفاته عبارة عن تاريخ القرن الذي عاش فيه ٠ وكان فوق ذلك اذا هبط الليل شرع في المطالعة ٠ وقد يكون مستغرقاً في نومه بعد منتصف الليل فينتبه ويقوم الى قصيدة يكون قد بدأ بها او خاطر جديد مرّ في باله فينهض لتقييده ٠ ومن ذلك يظهر ان المواهب لا تكفي الانسان ان لم تكن مقرونة بالصبر على العمل والجد فيه وقوة الارادة عليه وهو ما يسميه بعضهم « بالثبات »

فهذا الجد الغريب والجهد العجيب يذكرنا بالرغم عنا حالة كتاب الشرق وشعرائه ومن اجل ذلك وضعنا هذه الخاتمة . وانما نذكرهم لا لنظهر الفرق بينهم و بين نوابغ الغرب وانما لنذكرهم بالداء الذي اضعف جميع المواهب التي ظهرت في بلادهم وغادرها كانها لم تكن شيئاً مذكوراً . وهذا الداء هو ما تقدم ذكره من عدم الصبر على التعب وخلود كل عامل الى الكسل بعد اكتسابه شيئاً من الشهرة وتركه العمل الشاق لانه يقتضي جهداً وعناء مع معرفته « بان الوصول لا يكون الا بهذه الاصول » كما يقول كتاب العرب . وكفانا ان نستشهد الآن على هذا القول بحضرات الشاعرين احمد بك شوقي وحافظ افندي ابرهيم . وانما نخصهما بهذا الاستشهاد لانهما احب الشعراء الى الجمهور . فنسالهما بلسان هذا الجمهور الذي يحبهما و يهتزّ طرباً لاقوالهما باي شيء يقطعان اوقاتهما الآن واين الكتاب المفروض على كل واحد منهما في كل عام

وان قيل ان سوق الادب كاسدة ولذلك لا يؤلفان ولا يترجمان فنحن نردّ على ذلك بان فيكتور هيغو لم يكن يربح من ديوانه في بدء امره اكثر من ٧٠٠ فرنك كما تقدم . ونحن الضامنون ان اية مطبعة من المطابع التي تنشر الكتب تبتاع الآن من حافظ افندي او شوقي بك الديوان الجديد بسبعمائة فرنك على شرط ان يكون منظوماً كما يريد الجمهور وفي المواضيع التي يحبها . وان قالا ان احوالنا لا تساعد رجالنا نقول ان احوالنا على قدر رجالنا وها هي الحوادث العظمى تحدث وتمر دون ان نسمع فيها لاحدهم صوتاً . وان كانا يقولان ان الناس لا يعنيهم امرنا فاننا ننظم حينما نريد ونسكت حينما نريد فنقول ان كل امة يهمها امر نوابغها كما قال المسيو برانديس في صدر هذه المقالة لانها وصية عليهم وهم لها لا لانفسهم . ولذلك يحق لكل واحد من الجمهور ان يخاطب شاعري مصر بما خاطبهما به جناب داوود بك عمون ولكن لمعنى آخر غير المعنى الذي اراده

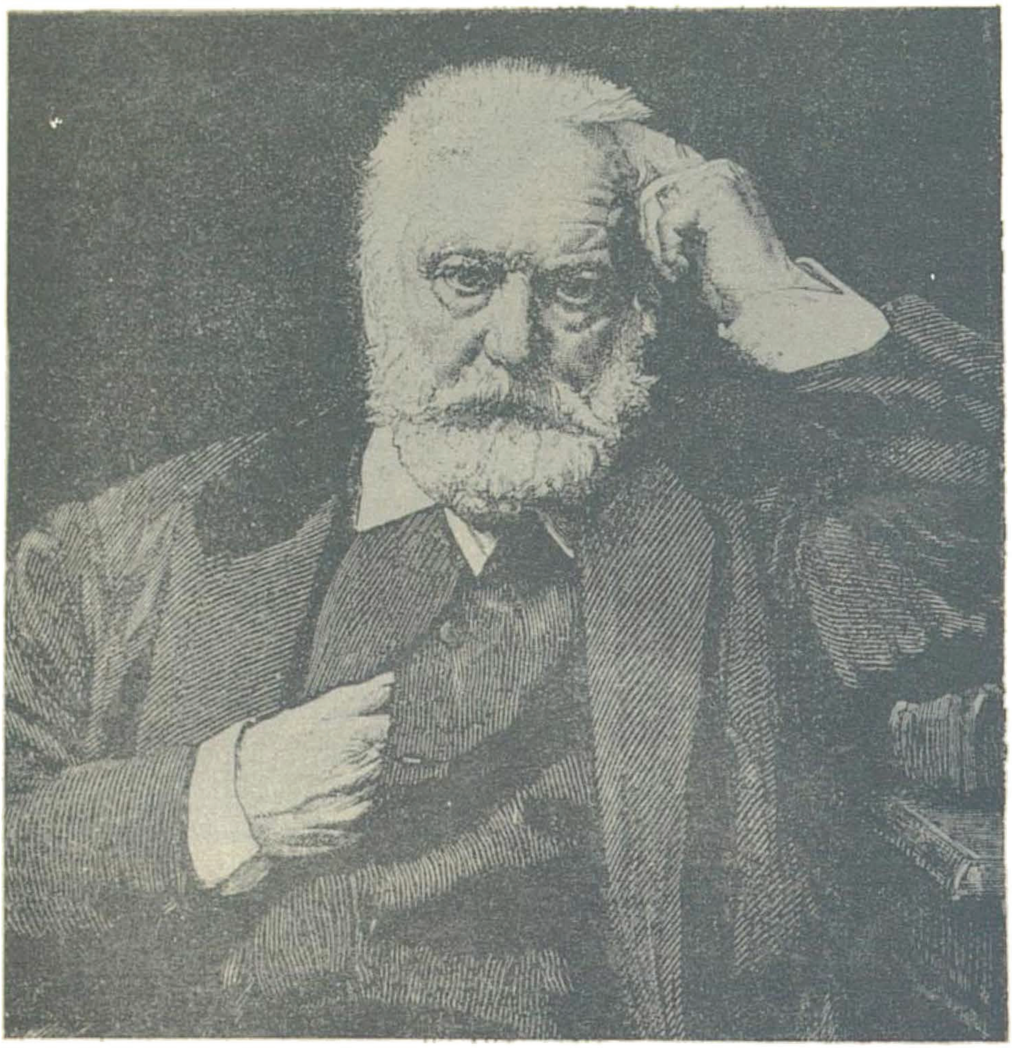
اشوقي أحافظ طال السكوتُ وترك الامور لاقدارها
فصوغا القوافي مصقولةً وشقا الجلود ببتارها
عساها تحرك اوطاننا وتنشر ميّت افكارها

ولكن اذا كان حضرة شوقي بك يلتزم السكوت طول العام ولا يرفع صوته فيه الا ثلاث او اربع مرات لتهنئة الجناب الخديوي ببضع قصائد فان حافظ افندي يسعى ويعمل . وقد كتب الينا جنابه منذ مدة يخبرنا انه عرب رواية التعساء (الميزرابل) عن فيكتور هيغو وتفضل بان وعد الجامعة بنشر بعض فصوله فيها . فنحن نرحب بكل

ما يكتبه جناب حافظ افندي ولكننا نستغرب ان يكون في يده قيثارة عليها اوتار من اوتار هيغو (اي قلم الشعر) ثم يعدل عنها الى ربابة (اي قلم النثر) فليته يعدل عن النثر الى ما خُلق له . بل ليته يلخص « التعساء » شعرًا فتكون احسن منها نثرًا .

وختام الكلام ان رجلاً كهيغو لا ينبت من الارض ولا يهبط من السماء . بل هو ينشئ نفسه بنفسه . وذلك بالصبر على العمل وسهر الليالي فيه وتفضيل لذته على كل لذة وطلبه لذاته لا للمال الذي ياتي عنه ومعرفته ان الشاعر او الكاتب اذا نام على أكاليله كما يقول الافرنج فقد مات وأمات في نفسه عالمًا معه . فالعمل والسهر والتعب : هذه هي عصا السحر التي تضع صبيًا ضعيفًا فقيرًا كهيغو فوق الامبراطرة والملوك . وما خُلق البشر في هذه الارض ولا سيما نوابغهم الا للعمل والتعب وخلق مواد جديدة من العدم لا لصرف الاوقات في ما لا يفيد شيئًا . فعسى ان يعتبر نوابغ الشرق بذلك فلا يقتلوا مواهبهم في الكسل والاهمال والملاذ الشبيهة بفقاقيع الصابون من حيث سرعة زوالها . وهنا نذكر ما قاله وزير التجارة الفرنسوية في ختام الخطبة التي القاها يوم افتتاح معرض باريز الماضي « سقيًا لك ايها العمل المقدس . يا محرر الانسان ومشرفه ومعزيه . بك يتلاشى الجهل . بك يزول كل شر . بك تتحرر الانسانية من نير العبودية والظلام . وترتقي في الآفاق العلوية المنيرة الهادئة التي لا بدَّ ان تبلغها يومًا من الايام »

هذا ما نقوله للمشتغلين بالعلم والادب والشعر في الشرق . بقيت لنا كلمة نقولها للامهات وهي ماخوذة عن قصيدة روستان التي مرَّ ذكرها وهي : ايتها الامهات ابذلن كل ما في ايديكن وفي نفوسكن لتربية نفوس اولادكن . ولا تهملن ولدًا اذ من يعلم متى يمر في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهًا ؟ ومتى اخذتن راس ولدكن بين ايديكن لتقبيله فلا ضغطن عليه كثيرًا فانه ربما كان هذا الراس وحده يضمّ عالمًا عظيمًا



فيكتور هيكو في اواخر عمره

Victor Hugo

(اسمه بخط يده كما كان يوقع به على رسائله)



« باسم الجمهورية الفرنسوية احييك ايها الشاعر »
« العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته »
« وألبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما »
« كانت واكثر حنانًا »
(خاتمة خطبة وزير المعارف في يوم الاحتفال بعيده)

﴿ رسم آخر لفيكتور هيكو وهو رابض ربضة الاسد ﴾

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

رد رنان على حارميه ومناظريه

الروحيين والماديين

من كتاب تاريخ الرسل التابع لتاريخ المسيح

اتينا في الاجزاء السابقة على خلاصة كتاب تاريخ المسيح كما كتبه الفيلسوف رنان ولم نبقِ منه سوى بضعة فصول موضوعها الحوادث التي تلت انزال السيد عن الصليب وسننشرها في الكتاب الذي شرعنا في جمعه على حدة كما اعلنا في الجزء السابق . وقدذكرنا في ختام هذا الموضوع في الجزء المذكور الغرض الذي لخصنا من اجله هذا الكتاب وهو :

(١) اطلاع قراء اللغة العربية على تاريخ اهم حركة اجتماعية غيرت وجه العالم وبسط حالة الشعوب في زمن حدوث تلك الحركة وهو ما عبرنا عنه بتاريخ الوَسط الذي نشاءت الديانة المسيحية فيه . ولا يخفى ان هذا التاريخ لا يُكتب الا من وجه تاريخي اي غير ديني .

(٢) تذكير البشر بالفضائل الانجيلية المنطبقة على النواميس الطبيعية التي تُبنى عليها كل ديانة صحيحة . والنداء بان كل ماخرج عن هذه الفضائل يُعد شيئاً عرضياً وجوده وعدمه سيان

ومما يسرنا ايراده انه كان لهذا التاريخ فوائد اخرى لم نكن نتوقعها . ولما ذكرها لنا اصحابها كانوا كمن يطلعوننا على امر جديد لم يخطر لنا في بال . فبعضهم اتانا وقال ضاحكاً : « انني كنتُ مسيحياً بالاسم قبل مطالعة مقالات رنان فاصبحت مسيحياً بالاسم والجسم بعد مطالعتها فلا ريب عندي ان الجامعة خدمت المرتابين والمشككين في قوة الحقيقة المسيحية انفع خدمة » . وبعضهم (وهو من الوعاظ الانجيليين) قال لنا ما نصه « انني مسرور بنوع خاص من مقالات رنان لانني رايت اخواننا المسلمين مقبلين على مطالعتها اقبال المسيحيين عليها فلا ريب عندي ان عقلاءهم يقفون منها على حقيقة الديانة المسيحية ويغيرون رايهم

فيها » . نقول وقد قال حضرة الواعظ هذا القول وهو يجهل ان جناب شوقي بك شاعر الحضرة الخديوية قال الابيات التالية في وصف الشريعة المسيحية وصاحبها

ولد الرفق يوم مولد عيسى   والمروآت والهدى والحياء
وازدهي الكون بالوليد وضاءت   بسناه من الثرى الارجاء
وسرت آية المسيح كما يسري   من الفجر في الوجود الضياء
تملاء الارض والعوالم نورًا   فالثرى مائج بها وضّاء
لا وعيدٌ لا صولة لا انتقام   لا حسام لا غزوة لا دماء
ملك جاور التراب فلما   ملَّ ناب عن التراب السماء
واطاعته في الاله شيوخ   خشعٌ خضعٌ له ضعفاء
اذعن الناس والملوك الى ما   رسموا والعقول والعقلاء

ولكن هنالك فائدة اخرى وغرض اخر من نشر هذا الكتاب لم نُشر اليه بعد مع انه من اهم الاغراض التي تقدمت الاشارة اليها . وهذا الغرض هو تقريب طوائف البشر بعضها من بعض وتعليمها التساهل ليحتمل بعضها بعضاً و يعرف جميعها ان الحقائق والفضائل ليست خاصة بامة دون امة ولا بفريق دون فريق لان الخالق تقدست اسماؤه اله للجميع لا اله شعب خاص ولا امة خاصة . واذا كان ابناؤه البشر متفقين على الحقائق الاصلية التي مقتضاها عبادته وطاعة نواميسه الطبيعية وشرائعه الادبية واحترامه بجعل القوة والحياة التي اعطاهم اياها مصروفة الى الخير الحقيقي والفضيلة الحقيقية لا الى الشر والجهل والبغض والوهم فما الذي يوجب عليهم بعد ذلك ان يتقاطعوا و يتدابروا و يعتبر بعضهم بعضاً اعداء لا يهنأ لهم عيش الا بادخالهم تحت سلطتهم او افنائهم من الوجود . فما كان اسعد البشر وما كان اكملهم لو كانوا يتبعون هذه الحقيقة الازلية الابدية التي يحومون حولها وقلما يدنون منها . وليس المراد باتباعها ان يترك كل واحد منهم ما في يده و يتبعها . كلا فان هذا القول لا يقوله الا من يجهل ماهية النواميس الطبيعية التي مقتضاها تشعب الاراء واختلاف المذاهب لان الوحدة امر مستحيل في العالم . واي شيء في الكون تجد فيه وحدة عامة ليجوز طلب الوحدة في الآراء والمذاهب . ان ناموس الطبيعة ونظامها قائم على « التنوع في الوحدة » لا على الوحدة . ولو كانت الوحدة عامة في العالم لكانت المعيشة فيه مملوءة مللاً وضجرًا . فلا ريب اذًا ان الآية « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » ليست حقيقة دينية فقط بل هي حقيقة طبيعية ايضاً تنطبق كل الانطباق على لباب النواميس الطبيعية . ولكن

المراد بذلك الاتباع ان لا يفضل البشر العرض على الجوهر والقشر على اللب والتراب على التبر ولا يدعوا انفسهم ينخدعون بسلطان الوهم والمصلحة الذاتية التي من مصلحتها تفريقهم وابقاؤهم في ظلام الجهل والوهم ليكون لها سلطان عليهم تستعمله في اكثر الاحيان لمنفعتها لا لمنفعتهم ولا سيما في زمن مادي كهذا الزمن الذي شوهت شراهته المادية كل النفوس حتى بلغت نفوس الرؤساء

واذا كان ما نشرناه الى الآن وما ننشره فيما يلي مفيداً في تاييد تلك « الحقيقة الازلية الابدية » التي اشرنا اليها وتوجيه عقول الوف من قراء الشرق وافاضله الى جهتها فاننا نعتبر انفسنا اننا قمنا بما كان يجب علينا . واذا كان صوتنا الضعيف اول صوت ارتفع في فضاء الشرق بهذا الموضوع فما الفضل في ذلك الا للاحوال التي كانت ملائمة له واستعداد نبهاء الشرق وافاضله من كل حزب لطلب الحقيقة المجردة عن الاباطيل والفضيلة الخالصة من كل شائبة .

ولكن هل ان هذا الحزب الجديد الذي يجتمع فيه اناس من كل الاحزاب ينمو ام ينقص في مستقبل الزمان ؟ ذلك امر يتوقف على مجرى الافكار المستقبلة وعلى حسن سياسة الرؤساء او فسادها . فاذا كان الرؤساء يضيقون حلقة الاخاء على البشر و يبقون على اهتمامهم باعراض الامور دون جواهرها واتخاذ الرئاسة آلة لتحصيل الغنى والجاه وقوة السلطان دون اهتمام بالفضائل التي بُني عليها الدين والاجتماع فلا بدَّ من تكاثر هذا الحزب. و يومئذ يصبح الرؤساء الذين هم عماد كل مجتمع في حالة لا يحبها احد لهم . واما اذا كانوا يعدلون عن المبداء القديم الى مبداء جديد مبني على الاخلاص للشعب وترك الاطماع والثروة لابناء العالم وتقديم الفضيلة الدينية على التقاليد فانهم يكتسبون كل القلوب و يزدادون رفعةً في عيون الناس اجمعين

كتاب تاريخ الرسل

بقي الآن ان نعود الى تاريخ رنان . فنقول انما نشرنا منه الآن « تاريخ السيد المسيح » ونحن نشرع الآن في كتابة « تاريخ الرسل » الذي هو تابع له . وموضوع هذا الكتاب اعمال الرسل بعد المسيح . وسيرد فيه وفي ما يليه تفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وما لقوه من الاضطهاد فيها وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد

وتزاحم تلامذته على العمل . ويتخلل ذلك كلام بديع عن حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتيت اليهود ثم سقوط الدولة الرومانية . ومما لا يحتاج الى بيان اننا نكتب هذا التاريخ من الوجه التاريخي ايضاً ونترك للمؤلف عهدته مع حذفنا منه كل ما يجب حذفه حباً بالاختصار ومراعاة للزمان والمكان . اما المسائل الدينية فلا نبحث فيها قطعياً

وقبل الشروع في تلخيص هذا الكتاب نود تلخيص المقدمة التي قدمها المؤلف له رداً على حارميه ومناظريه . وبيان ذلك انه لما انتشر تاريخ السيد المسيح صدر امر من الكنيسة الكاثوليكية بحرمان رنان منها كما حرم المجمع الروسي المقدس الفيلسوف تولستوي في العام الماضي . وانهالت الردود على صاحب الكتاب . وكان الرادون عليه فريقين . فريق الاكليريكيين ولا حاجة الى ذكر براهينهم لانها معروفة . وفريق الماديين وهؤلاء عنفوا المؤلف لانه اعتمد على الانجيل في كتابة تاريخه واثنى على المسيحية وعلى العواطف الدينية ثناء لا يصدر عن اعظم انصار الاديان . وسنلخص في ما يلي ردود رنان على الفريقين كما وعدنا في صدر ترجمته لانه قال فيها اقوالاً يجب اطلاع الناس عليها لانها مما يساعد على تربية التساهل والاعتدال في النفوس ولاسيما ما كان منها متعلقاً « بنبوّته الدينية »

مقدمة المقدمة

قال رنان في صدر مقدمة الكتاب ان مؤسس الديانة المسيحية هو السيد المسيح لا الرسول بولس كما يزعم بعضهم وان كان هذا الرسول قد نشر هذه الديانة في اقطار الارض . ولقد جاء في بعض الاقوال ان بعض خصوم بولس راموا بعد موته وضعه خارج الكنيسة واعتباره كسمعان الساحر ولذلك لم يظهر اسمه ويشغل المكان الذي له في التاريخ المسيحي الا بعد وضع الكتابة في الكنيسة موضع التقاليد الشفاهية وتدوين تاريخها

ثم قال المؤلف انه اعتمد في كتابة تاريخ الرسل على رسائل بولس بالاكثر لانها آية في التدقيق والوصف الصحيح . اما باقي الرسل فرسائلهم لا تشبه هذه الرسائل . وطلب الى منكري الكتب والمعارضين في صحتها ان يطالعوا الصفحتين الاوليين من رسالة الرسول بولس الى غلاطية ليعرفوا ان بولس متى حدث عن نفسه تكلم بدقة وتفصيل لا يقبلان الاعتراض . ثم قال المؤلف . ان الافتراض والاستنتاج لا بد منهما في كتابة كل تاريخ قليل التفاصيل وان ضمير الكاتب يكون مستريحاً اذا كان يكتب كما يفكر ويعتقد

فيقول عن الصحيح انه صحيح وعن الممكن انه ممكن

اما «اعمال الرسل» فقد اعتمد عليها المؤلف اقل من اعتماده على رسائل بولس . وهو يعتقد ان كاتب هذه الاعمال هو كاتب الانجيل الثالث اي الانجيلي لوقا لشدة الشبه بينهما من حيث اساليب الكتابة ومخاطبة الكاتب فيهما رجلاً يدعى ثاوفيلوس . ومما يراه ان كاتب الاعمال كان تلميذاً لبولس وقد رافقه في اسفاره. وحيث انه كان بين تلامذة بولس رجل يُدعى لوقا وقد ورد ذكره في رسائل بولس الى كولوسي ص ٤ ع ١٤ والى فليمون ص ٢٤ والى تيموثاوس ص ٥٤ ع ١١ فهو يعتقد ان كاتب الانجيل الثالث واعمال الرسل هو لوقا الذي تقدم ذكره . ويقول رنان ان «الاعمال» لم تُكتب الا في عام ٨٠ بعد الميلاد

العجائب

ثم تكلم رنان عن العجائب في هذه المقدمة بعد ما ذكره عن اعمال الرسل فقال : ان العقل لا يصدق العجائب . واذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون . ولكنهم يقولون ان العجائب لا تحدث الا امام من يصدقها اي ان من شروط حدوثها الخفاء و بساطة الناظر واستعداده لتصديقها . ولقد قال شيشرون عن عجائب قومه الرومان قولاً يصدق في هذا الزمان وهو : «متى تلاشت تلك القوة السرية ؟ لقد تلاشت منذ صار الناس اقل تصديقاً لها »

وربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها . فنجيبهم « ان البينة على المدعي» لا على سواه . ولو جاء قوم الى يبفون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فبماذا يجيبهم . انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا لا اعتقد بها . وان قالوا له اقم دليلاً على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة بل عليكم انتم ان تقيموا الدليل لا عليّ

واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يُخلق الا بقدرة الله ومَن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً . فالجواب عن ذلك ان هذا القول يغير وجه المسالة . فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب . ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعدُ ماهيتها حق المعرفة . وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً

لان الفسيولوجيا لم تعرف بعدُ كما نريد معرفته عنه · والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرًّا من الاسرار الغامضة · وهكذا يصير كل مجهول عجيبة · فهل هذه هي العجائب · كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح « خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطه ارادة خصوصية » · واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي يمد يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المالوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المالوف لانه لم يثبت انه صنع ذلك · واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي

وقد يعدل المعارضون عن العجائب المادية ويلجئون الى العجائب الادبية · اما نحن فنقول ان البوذيين والبابيين راح منهم كثيرون من الشهداء ولم يكونوا اقل من غيرهم حماسةً واستماتة واستبسالاً · ولا انكر ان عجائب الديانة الاسلامية الراجعة الى هذا الشان تختلف عن هذه العجائب وهي قلما تهمني الا ان علماءها يعتبرون ايضاً ان انتشار الاسلام بسرعة البرق وانتصاره على ممالك الارض دليل على اتحاد الله معهم وصنعه ما صنع من اجلهم · بل فلنترك هذا الامر ولننظر الى اليونان فاننا نجد تمدنهم وفنونهم عجيبة من العجائب التي لا شبيه لها في العالم · فانه اذا كانت الديانة المسيحية عجيبة في العالم من حيث الادب والقداسة فان اكروبول اثينا الذي اجتمعت فيه نفائس البناء التي لا يُذكر بازائها بناء المتقدمين والمتاخرين لهو عجيبة ايضاً من حيث الجمال واتقان الفنون · فليس كل شيء مفرد عجيبة · لان الله تعالى كائن في كل ما هو جميل وحسن وصحيح في الارض بدرجات مختلفة · ولا يجوز اعتباره خاصاً بشيء دون شيء او بمدنية دون مدنية

لماذا أُلف كتابه

واني اؤمل ان بعض القراء الذين تحمسوا منذ سنتين ونصف سنة لمطالعتهم « تاريخ يسوع » يطالعون هذا الكتاب بهدوء ورزانة · فان المجادلات الدينية انما تُبنى دائماً على سوء القصد من طالب المجادلة على غير علم منه ولا قصد · ذلك لانه لا يطلب الحقيقة بهدوء ورزانة حيثما كانت ولكنه يؤكد ان الحقيقة في قبضته ولذلك لا يكون له همٌّ غير نسبة الجهل والافتراء الى مناظره · فالطعن والسب وتزوير الافكار والاقوال والافتراء والاحتماء بعواطف البسطاء والجهلاء — كل ذلك يراه طالب المناظرة الدينية امرًا جائزًا

له لانه يزعم انه يدافع عن الحقيقة التي يراها في قبضته . ولقد كنت اتوقع ذلك لانني لا اجهل حوادث التاريخ وارى في نفسي من الهدوء وثبات الجاش ما يحول بيني و بين التاثر منه . فانا استقبله بهذا الهدوء كما استقبل بسرور وتلذذ العواطف البسيطة المؤثرة التي حملت مناظريّ على هذه المناظرة . وكلما بدا لي ذلك الغضب الصادر بصراحة من نفوس كريمة نقية فانني لا اتمالك ان اصيح « يا للبساطة المقدسة » كما صاح جان هوس (اللاهوتي الذي اعدم حرقاً) لما راى امرأة تاتي الى محرقته بحزمة حطب والعرق يتصبب منها من التعب . ولكني اسفتُ كل الاسف لان كل ذلك الصياح والغضب لا يفيد الحقيقة شيئاً . ولا غرابة في ذلك فان الحقيقة لا تنجلي للذين يطلبونها بحماسة وغضب ولكن للذين يطلبونها بهدوء وتامل دون غرض ولا بغض . وليس في ذكر الانسان مبدأ من المبادئ اهانة لاحد فان الذين يرون فيه اهانة لمبادئهم يستطيعون التخلص منه بعدم وقوفهم عليه . فحسناً يصنع الجبناء وضعفاء العقول اذا لم يقرأوه

ولقد كتب اليَّ بعض الناس من كل صوب يقولون « ما غرضك من هذا . وماذا تريد » فانا اجيبهم بان غرضي هو كغرض كل مؤلف يكتب في التاريخ . ولو كان لي عدة اعمار لا عمر واحد لوقفت احدها لكتابة تاريخ الاسكندر المكدوني والثاني لكتابة تاريخ اثينا والثالث لكتابة تاريخ الثورة الفرنسوية (التي ننشر تاريخها الآن في روايات فريسة الاسد) والرابع لكتابة تاريخ جمعية سان فرنسوى . واي غرض يكون لي اذا كتبت هذه الكتب ؟ لا يكون لي من غرض سوى وجود الحقيقة واحيائها واعادة ذكر الحوادث الكبرى التي حدثت في الزمن الماضي بقدر ما يمكن من الصدق والتدقيق . اما ضعضعة عقائد الناس فهذا امر بعيد عن فكري . ولو كنت اقصده لطرقت هذا الموضوع من باب آخر بان اتناول الاقوال والافعال واظهر ضعيفها دون قويها وابسط التناقض الذي بينها ولا اعطي احداً من كلامي حجة عليَّ . ولكنني لا اكتب لذلك وانما اكتب لتقرير الحقيقة . ومتى كتب الانسان لهذا القصد وجب ان لا يعباء بشيء وان لا يتساهل في شيء بل ان يكتب كانه يكتب لكرة قفراء لا ناس فيها . والا فان كل تساهل وكتمان يُعدُّ اهانة للحقيقة ولصناعة الكتابة السامية

فنحن اذاً نكتب ما نكتب دون ان نطلب اسكات المبادئ التي تناقض مبادئنا او ان نقتحمها ونحمل عليها . بل نكتب دون التفات اليها كانها غير موجودة عندنا . واذا قبل احد مبادئنا فذلك دليل على ان عقله مستعد لها اما من كان عقله غير مستعد لها فانه لا

يقبلها. وليس يسوءني شيء في العالم مثل ان يقنعني احد بان اجتذب الى هذه المبادىء رجلاً لا ياتي اليها من تلقاء نفسه . وذلك مما يجعلني استنتج انني اما اصبحت مضطرب الفكر بعد الهدوء واما ان شيئاً خصوصياً قد ثقل في حتى صرت لا تروقني بهجة الدنيا ولا اكتفي بمشاهدة جمال العالم

فعملي اذا مقصور في كتبي على البحث عن الشرائع العامة التي تحكم الانسانية وتدرج الانسانية فيها . واست اتنازل عن هذا العمل الى فن المجادلة وان كان هذا الفن اكثر ثمرة لصاحبه . واذا لزمت المجادلة فان فولتير يكفي . فانه اذا نشرت كتبه من جديد كان فيها جواب لكل طالبي الجدال . ولا انكر انه جواب سيء في ذاته ولكنه منطبق على ما يروم نقضه . فهو جواب متاخر لفن متاخر . اما نحن معشر عشاق الحق وطالبي الحقيقة فعلينا ان نصنع افضل من ذلك . علينا ان نترك تلك المجادلات لمن يطلبونها ونشتغل للفئة القليلة التي تسير في جادة الانسانية والصراط المستقيم

نبوءته الدينيه . الجديرة بانتباه كل عاقل

هذا هو سبيلي في كتابة التاريخ . واست اجهل ان بعض الناس يستبطئون سير الفكر ولا يمهلونه ولذلك يطلبون منه السرعة في عمله . اما نحن فلا نكونن من جملة هولاء الناس بل فلنجتنب العجلة ولا نؤسسن شيئاً جديداً . وليبق كل واحدمنا في قلب كنيسته منصرفاً الى فضائلها القديمة واعمالها الخيرية ومتمتعاً بجمال الماضي . ولا ننبذن تعصب هذه الكنائس بل فلنصفح عنه لان هذا التعصب حاجة من حاجات القلب البشري مثل حب الذات الفطري . ومن المحتمل ان العلائق بين البروتستانت والكاثوليك واليهود تتغير بعد مائة سنة ولكنها لا تتغير كثيراً (ولم يذكر الارثوذكس اذ ليس في فرنسا احد منهم) . الا انه سيحدث انقلاب عظيم من وجه آخر . فان كل واحد من هذه المذاهب ينقسم اهله قسمين . فقسم يعتقد بقواعد مذهبه حرفياً كما كان يعتقد الناس بها في القرون الوسطى وقسم يعتقد بآدابها فقط لا بكل ما فيها حرفياً . وهذا القسم الثاني يزداد وينمو في كل مذهب . وبما ان الذي يفرق الناس الآن هو حرفية القواعد لا مبادئها الاجمالية فان انصار هذا القسم من كل المذاهب يتقربون بعضهم من بعض الى درجة يرون انفسهم عندها في غنى عن قطع صلاتهم بالقسم الاول للاتحاد بعضهم مع بعض . ويومئذ يغرق التعصب في سيل من التساهل العمومي . وتصبح الطقوس فلكاً مرسياً يتفق الجميع على عدم فتحه . واذا كان هذا الفلك فارغاً فاي

ضرر في فراغه · على انني اخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا الارتخاء العام في العقائد · ولكنني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة و بلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة · الا انني اخشي ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء · فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي · ذلك انه من الثابت الآن امران : الاول ان التمدن الحديث لا يريد اماتة الاديان القديمة موتاً نهائياً لانه يتخذها آلة له · والثاني انه لا يطيق أنّ تكون هذه الاديان عثرة في سبيله · فعلى هذه الاديان اما ان تسالم وتلين او ان تموت

حرمه من الكنيسة

فما الفائدة اذاً من وضع مبادىء الدين الاصلية النقية من كل شائبة في موضع يؤذيها بدلاً من بقائها خارج دائرة الاحزاب والمذاهب ؟ ما الفائدة من اقامة مذهب ضد مذهب وراية ضد راية اذا كان الخلاص ممكناً للجميع وغير متوقف الا على نقاء باطن الانسان وشرف اخلاقه ؟ ومن المعلوم ان الانقسام بين البشر والغلو في المعتقدات يؤديان الى رد الفعل في كل امر وكل مذهب · فانه لولا لوثيروس وكالفين لما قام كارافا وشيسليبري ولو يولا وفيليب الثاني · و بناء عليه فاذا نبذتنا كنيستنا وجب ان لا نغضب ولا نشكو · وانما يجب ان نذكر بسرور تلطف العادات العصرية وانقلاب الزمان الذي صيَّر هذا البغض بلا تاثير كانه لم يعد شيئاً مذكوراً · ولنعزِ انفسنا عن ذلك بالتأمل في تلك الكنيسة الغير المنظورة التي تشتمل على رجال الصلاح المحرومين اولئك الرجال الذين هم في كل مذهب نخبة الكنيسة التي تحرمهم · وهؤلاء الرجال هم متقدمون عصرهم وقواد الجيل الآتي لانهم سيكونون في المستقبل بالنظر الى تطرف الاجيال الآتية اكثر الناس انتصاراً للمبادىء الدينية · ومع ذلك فاي معنى للحرمان وما الفائدة منه · ان الاب السماوي لايحرم الا العقول الجافة والنفوس الشرهة والقلوب الضيقة · واذا كان معنى الحرم ان الكاهن لا يقبل جثتنا في مدفنه فعلينا ان نمنع عيلتنا من تقديمها له · والله بيننا خير الحاكمين · اما الارض فانها ام حنون لا تفرق بين جثة وجثة · وجثة الرجل الصالح متى دُفنت في حفرة فيها فانها تجلب البركة معها من عند نفسها

الشكوك

ولست اجهل ان اتباع هذه المبادىء صعب على بعض الناس خصوصاً المرتبطين بالنذور كرجال الاكليروس. مثال ذلك ان كاهناً شريف الاخلاق تحقق فراغ الفلك الذي اشرنا اليه واستحالة العمل بحرفية القواعد . فما عليه ان يعمل . هل يجب ان يسيء الى الذين كان يعزيهم ويسليهم بان يطلعهم على اكتشاف لا يفهمونه ؟ معاذ الله ان يكون ذلك واجباً عليه فانه ليس في العالم كله رجلان واجباتهما متساوية . فان مطران كولانسو مثلاً قد صنع صنعاً دلّ على استقامة سيرته وسريرته لما دوّن بين اوراقه الشكوك التي قامت في نفسه بشأن معتقداته . وهذا العمل فريد في بابه منذ قيام الديانه المسيحية . ولكن الكاهن الفرنسوي الذي تقوم في نفسه شكوك كتلك الشكوك عليه السكوت في بلاد ضيقة العقول كبلادنا . ولذلك سكت كثيرون من الكهنة . واذا فتشت حول كنائس القرى وجدت كثيراً من القبور تضم امراراً لم يقف عليها احد غير الله . فهؤلاء الذين سكتوا مساوون في الفضل لاولئك الذين نطقوا

العدو الحقيقي للعلم والدين

فالعلم اذاً شيء والعمل شيء آخر . والكمال يجب ان يبقى كمالاً في جوه الرفيع والا فانه يتلوث اذا اريد العمل به . وكم من الافكار والمبادىء تكون مفيدة لاهل الفهم واصحاب العقول النيرة ومضرة بالطبقة الواطئة . ذلك ان الانسان لا يستطيع ان يعمل اعمالاً عظيمة الا اذا كانت له خطة مقررة وطريق مخطوطة . وهذا ناشيء عن ان لقواه حدوداً معينة . واذا كان الانسان مجرداً عن كل وهم وعادة واصطلاح فانه يكون مخلوقاً ضعيفاً . فلنتمتع اذاً بنعمة الحرية المعطاة لنا نحن ابناء الله ولكن لا نجعلن انفسنا شركاء في ما يصيب الهيئة الاجتماعية من تناقص الفضائل اذا ضعفت الديانة المسيحية . اذ ماذا نكون بدون هذه الديانة اذا امحت . ومن يقوم مقام تلك الجمعيات (يعني بعض الرهبنات الصالحة) التي هي عبارة عن مدرسة للنظام والجد والاحترام والاخلاص . وكيف لا يخيفنا حينئذ الجفاف والقسوة اللذان يسطوان على كل القلوب والصغائر التي تستولي على العالم . نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين . وانما الخلاف الذي بيننا علمي لا ديني . فقلوبنا اذاً معهم وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين

يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية

الكلمة الاخيرة

فنستحلفكم اذاً باسم الله ان تتركوا كل خصام ونزاع . دعوا الاحزاب والمذاهب التي وضعها البشر تعيش بتساهل واحتمال بعضها مع بعض. ولا تطلبوا من بعضها ان يتنازل عن شيء من مبادئه اكراماً للآخر فان ذلك يحط من قدرها . وانما اطلبوا ان يحمل بعضها بعضاً ويتسامح بعضها لبعض فانه ليس في العالم قوة تستطيع ملاشاة باقي القوات ولا في امكان مبداء ان يعيش دون نقيضه . بل ان الشيء ونقيضه في هذا العالم لا بدّ ان يعيشا معاً وانما ينشأ نظام الانسانية من اتحاد اصواتها الكثيرة مهما كانت مختلفة . ولكن هب ان ما يسمونه « استقامة الايمان » قد تمكن من قتل العلم فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا القتل معروفة لا تخفى على احد . فان العالم الاسلامي واسبانيا قد قاربا الموت لانهما خنقا العلم وسدا سبيله . وكذلك هب ان العلم المادي رام حكومة العالم من غير التفات الى حاجات النفس الدينية فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا الامر معروفة ايضاً وقد ظهرت في اثناء الثورة الفرنسوية. وهذا مصير كل افراط وكل تفريط في العالم . انظر الى ايطاليا في ايام نهضتها تجد ان ارتقاء الفنون فيها الى اسمى درجات الكمال جعلها مكاناً قذراً لان ذلك الكمال في الفنون لم يكن مقروناً بالفضيلة والحشمة . وانظر الى بعض البلاد البروتستانتية تجد ان الضجر والصغائر والتاخر في الفنون امور تتولد فيها عقاباً لها على الغائها الفنون والزينة وتشديدها على العلم بحجة البساطة وحفظ اصول الدين الحقيقية . فلوكريس وسنت تريزه . وار يستوفان وسوقراط . وفولتير وفرنسوى داسيز . ورفائيل وفنسان دي بول — كل واحد من هولاء الرجال لا غنى للعالم عنه وان اختلفت وجهاتهم ومقاصدهم . واذا فقدت الانسانية شيئاً من هذه العناصر المختلفة التي تتالف منها صغرت ونقصت نقصاً يظهر فيها » ا ه

انتهت مقدمة رنان . وهي في الكتاب ٦٤ صفحة بحجم كبير . وسندخل في الجزء القادم في موضوع الكتاب تتمة لهذا الموضوع الخطير



﴿ التلامذة والنسوة يُنزلون السيد المسيح عن الصليب ﴾

الذهب المصري والكيماوي برتلو

اكتشاف جديد

ساعد الكيماوي برتلو الباحثين في الآثار المصرية مساعدة تُذكر فتشكر . فانهم يرسلون اليه شذورًا او لفائف من الذهب الذي يجدونه في المدافن المصرية فيحلل هذا الذهب ويعلم منه على التقريب العصر الذي استخدمه فيه دافنوه . على ان هنالك فائدة اخرى وهي تعيين العصر الذي استخدم فيه قدماء المصريين الذهب الخالص . ولبيان ذلك نقول

من المشهور ان الامم المتقدمة كانت تستخرج الذهب من الشواطئ البحرية والنهرية حين انحسار المياه عنها . ولا تزال هذه العادة شائعة عند بعض طلاب الذهب الى هذه الايام . واذا نزلتَ الى شاطئ الميناء الشرقية في الاسكندرية بعد يوم كان بحره هائجًا وزوابعه شديدة فانك ترى على شاطئه احيانًا بضعة رجال في ايديهم قصع يغرفون بها الرمل من الشاطئ الذي قلبته الامواج ثم يصفونه بالماء كمن يغربله بغربال وهم يبحثون عن شذور الذهب بين حبات الرمل . بل اذا كنتَ ذا بخت نظرتَ منظرًا اجمل من هذا : وهو منظر ثلاث فتيات من حسان الايطاليات تجلس اثنتان منهن على الشاطئ بين الجمع المجتمع وتذهب الثالثة وهي اجملهن بحذائها النظيف الجميل وحلتها الانيقة فتخوض البحر حتى يعلو قدَميها شبرًا او شبرين ثم تمد يدها الى الماء وتقبض قبضة من الرمل الذي تحته وتعود به الى رفيقتيها ليبحثن فيه معًا عن حبات المرجان

وقد كان المصريون الاولون يستخرجون شذرات الذهب من الشواطئ بطريقة كهذه الطريقة الا ان الذهب الذي كان يُستخرج بهذه الطريقة كان ممزوجًا بالفضة . ولذلك كان لونه ضاربًا الى البياض . وقد كانوا يسمونه « الكتروم » او « آزِم » . ولم يكونوا يومئذ يعرفون الذهب الخالص قطعيًا . غير ان هذا الجهل لم يكن خاصًا بهم فان جميع الامم المتقدمة كانت تستخدم الذهب ممزوجًا بالفضة لجهلها طريقة فك الواحد من الآخر

ولكن هل طالت مدة هذا الجهل . وهل بقي المصريون على استعمال الذهب ممزوجًا بالفضة ازمانًا طويلة . — هذا هو السؤال الذي وجد برتلو جوابه . فانه حلل اللفائف الذهبية التي بعث بها المسيو ماسبرو اليه فوجد في اللفافة الذهبية التي من عهد « الاسرة السادسة » ٩٢ جزءًا من الذهب و٥ اجزاء من الفضة وفي اللفافة التي من عهد « الاسرة

الثانية عشرة » ٩٠ جزءًا من الذهب و٤ من الفضة ٠ ووجد في اللفافة التي من عهد الفتح الفارسي ٩٩ جزءًا من الذهب ٠ فثبت له ان الذهب الخالص لم يُعرف في مصر قبل الفتح الفارسي ٠ ولا ريب انه اذا بحث في جميع لفائف الذهب التي توجد في المدافن حول الرمم المحنطة تمكن مع طول البحث من معرفة عصر اي مدفن من المدافن التي يكتشفها الكاشفون من مجرد تحليل الذهب الذي يكون فيها

هذا وقد قدم المسيو برتلو ملاحظاته هذه الى مجمع العلوم في باريز فنقلناها نحن عن وقائع هذا المجمع ٠ وقد قدم اليه هذا العالم ملاحظة اخرى تختص بمصر ٠ فان احد الباحثين بعث اليه بقطعة من اناء يظهر انه من فضة وقد وجد في مدفن من مدافن الاسرة الرابعة اي من نحو ٦ الاف سنة ٠ فلما حلل برتلو هذه القطعة وجد انها من الرصاص لا من الفضة وانما صار لها منظر الفضة ولونها لاتحاد مادتها بكلوريد الصوديوم

الانكليكان

﴿ او تاريخ انكلترا الديني ﴾

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عيساوي

سالني بعض الاصدقاء ان اشرح في الجامعة تاريخ الطائفة الانكليكانية لكثرة الكلام عنها في الايام الاخيرة في مصر والشام وخصوصاً في بيروت فرايت ان اذكر ما وصلت اليه يدي من امورها بعد البحث والتنقيب ولا غرض لي من ذلك غير اطلاع القارىء على تاريخ انكلترا الديني اذا كان يجهله ٠ فاقول

الكنيسة الانكليكانية وتدعى أيضاً كنيسة انكلترا هي جزء عظيم من الطائفة الانجيلية في العالم ٠ وتختلف عن باقي الكنائس الانجيلية بان لها اساقفة وشمامسة كما في الكنيسة الارثوذكسية ولها رئيسا اساقفة يقيم احدهما في كنتربري والاخر في يورك ٠ وهذان الاسقفان هما بمثابة البطاركة في الكنيسة الشرقية ٠ وهي الكنيسة الرسمية عند الحكومة البريطانية وتعترف بسيادة ملك انكلترا على املاكها ٠ وهي كنيسة رسولية تحفظ شرائع الرسل وتعاليمهم

تاريخها

وتاريخ هذه الكنيسة تاريخ النصرانية في انكلترا · والنصرانية دخلت الى انكلترا بعد ظهور الديانة المسيحية بقليل · ومن الرواة من يقول ان الرسول بولس ذهب الى تلك الجزائر وكان حينئذ سكانها من المتوحشين فنشر التعاليم المسيحية فيها مبتدءا من مقاطعة غلاستنبرج لان طقوس هذه المقاطعة الى الآن تقارب الطقوس الشرقية · ثم جعلت النصرانية تمتد حتى القرن الثالث بعد الميلاد حين اصبحت البلاد تابعة لسلطة المملكة الرومانيــة فابتداء قياصرة الرومان اذ ذاك باضرام نار الاضطهاد وهدم كنائس النصارى فيها ولكن ذلك لم يثن من عزم الاكثرين على التدين بها حتى ان مجمع نيقية المشهور الذي عقد في عام ٣٢١ ب · م كان فيه من ينوب عن كنيسة انكلترا · وظلت النصرنية تمتد حتى الفتح النورمندي وكانت قد صارت اكثر المقاطعات البريطانية تعترف بالنصرانية وصار فيها ٤٥٠٠ كنيسة ما عدا كثير من الاديرة والصوامع وكاتدرائيات الاساقفة الخصوصية · وصار للاساقفة السلطة العظمى فكانوا يحاكمون الناس كالقضاة

وكانت كنيسة انكلترا يومئذ غير تابعة تماماً للسلطة البابوية · وبناء عليه رأت الحضرة البابوية ان تساعد الملك وليم الفاتح النورمندي على التغلب على انكلترا ليجعل هذا الملك سلطتها تامة فيها · وتمهيداً لذلك قبل وليم الفاتح في انكلترا علاوة عن رئيس اساقفة يورك كاردينالين رومانيين اوفدهما البابا من قبله · وعليه فالفتح النورمندي كان ذا صبغة دينية · واتماماً لنفوذ الحضرة البابوية في انكلترا ارسل الفاتيكان كاردينالاً لومبارديا اسمه لافرانك وجعله رئيساً لاساقفة كانتربري مخالفاً بذلك العادة القاضية بوجوب ان يكون رئيسا الاساقفة من الانكليز دون سواهم · ثم كثر الكهنة والرهبان النورمنديون فانشئوا عدة كنائس وكاتدرائيات جميلة الهندسة على الشكل النورمندي · وصارت بعد الفتح كل شؤون الكنيسة في ايدي الغرباء · اما وليم فلما راى ان السلطة البابوية ستكون فوق سلطته ابى الاعتراف بها تمام الاعتراف وارسل يبلغ الحضرة البابوية انه لا يستطيع مخالفة العوائد القديمة التي توجب على السلطة البابوية ان لا تتخطى الحدود المرسومة لها · فنشأ عن ذلك نزاع طويل بين الملك والبابا ولكن لما توفي وليم اشتدت سلطة البابا والكنيسة حتى قام ادوارد الاول فسن عدة قوانين لتحديد هذه السلطـة · وفي هذه الاثناء تالف البارلمان الانكليزي وصارت له اهمية تذكر في انكلترا فساعد البارلمان الملك من جهة ومن جهة اخرى كثر اعتداء الاكليروس واتهمهم الانكليز بفظائع القتل ايضاً فنفرت قلوب

الناس منهم · وفي هذا الحين قام كاتبان انكليزيان انصرفا الى اظهار مساوىء الكهنة والرؤساء فرماهما الاكليروس بالزندقة والكفر واضطهدهما ولكن احدهما وهو (ويكليف) كان تعليمه تمهيداً « للاصلاح » · وفي عام ١٥٠٩ قام شاب على كرسي انكلترا فنشط الهمم لترجمة التوراة الى اللغة الانكليزية وترجم ايضاً كتاب الصلوات فوافق عليه البارلمان في عام ١٥٤٩ والزم جميع الكهنة باستعماله · ثم دخلت تعاليم « الاصلاح » في زمن هنري الثامن وكان من نتائجه الغاء الصور والتماثيل من الكنيسة وابدال مذابح القربان بمائدة اعتيادية وقد حدث كل هذا التغيير بتدبير احد دهاة الاساقفة المدعو كرنمر · وقام كثيرون يطلبون كتابة عقائد ايمانهم فاجابهم كرنمر وغيره الى طلبهم والفوا ٤٢ عقيدة فوافق عليها الملك والزم الاكليروس بالاعتراف بها · ثم ادخلوا في عام ١٥٥٢ التغيير والابدال في كتاب الصلوات وجعلوا له صبغة بروتستانتية · وبعد موت هذا الملك بقليل قامت ماري ستوارت الكاثوليكية فارجعت التعاليم القديمة · الا ان ١٥٠٠ — ٣٠٠٠ كاهن ابوا الموافقة عليها فاضطر بعضهم الى الفرار واضطهد بعضهم · ثم امرت ماري فاجتمع مجمع اساقفة في عام ١٥٥٥ لمحاكمة الهراطقة (اي البروتستانت) فاحرق منهم عدة اشخاص في جملتهم كرنمر المذكور الذي صرف ٢٣ سنة في رئاسة كنيسة انكلترا · وكان ذلك في ٢٢ مارس من عام ١٥٥٦

وفي عام ١٦٤٢ قامت طائفة البيورتيين · واصحاب هذه الطائفة بروتستانت لا طقوس عندهم ولا كتب صلوات ولا يعتقدون بشيء غير الكتاب المقدس · فقويت هذه الطائفة وكان من اتباعها كرمويل الشهير الذي اضرم نار الفتنة الاهلية في انكلترا وقتل كارلوس الاول والف جمهورية دامت مدة سنوات تحت رئاسته ولكن عفت اثارها بعد موته · وقد صارت هذه الطائفة ذات اهمية عظمى في مدة الجمهورية لان كرمويل قضى على الجميع باتباعها ومنع التعييد يوم عيد الميلاد وجعله يوم صيام ومنع اساقفة كنيسة الانكليكان من التعليم والوعظ مهدداً اياهم بالنفي اذا خالفوا امره · ثم لما رجعت الملكية رجع النفوذ الديني للكنيسة الانكليكانية وفر كثيرون من البيورتيين الى اميركا حيث وضعوا اساس الجمهورية الاميركية · وبقيت الانكليكانية في تقدم ونمو الى عهد جمس الاول وهو الملك الثاني بعد انقلاب الجمهورية · وكان هذا الملك كاثوليكياً فرام ارجاع الكثلكة فاضطره الشعب الى الاستقالة والفرار · ولم يحدث تغيير في الكنيسة الانكليكانية الا في القرن التاسع عشر فانه كان من المفروض قبل هذا القرن ان يكون النواب في البارلمان الانكليزي من

الانكليكان دون سواهم . الا ان الحكومة اتباعاً لمبداء الحرية الغت هذا النظام واذنت بالنيابة في المجلس اولاً للبروتستانت غير الانكليكان ثم للكاثوليك فالاسرائيليين . وكان قبلاً كل انكليزي اياً كان مذهبه مرغماً بدفع ضريبة للحكومة تسمى ضريبة الكنيسة وكانت هذه الضريبة تختص بالكنيسة الانكليكانية بالطبع ولكنهم ابطلوا هذا ايضاً في القرن الماضي لانهم رأوا انه ليس من العدل ان يدفع الاسرائيلي مثلاً ضريبة لكنيسة لا شان له فيها . وقد امتدت الكنيسة الانكليكانية في القرن التاسع عشر في كل اقطار الدنيا بواسطة جمعية دينية أُلفت في نهاية القرن الثامن عشر . ولها الآن ٦٠ اسقفاً (مطراناً) في بريطانيا والمستعمرات ومثل هذا العدد في اميركا . ويبلغ عدد خدمة هذا الدين في انكلترا وحدها ٢٠٠٠٠ شخص

طقوسها وتعاليمها

وطقوس هذه الكنيسة وتعاليمها ماخوذة من الطائفة اللاتينية والطائفة الارثوذكسية وهي منقولة من كتاب لاحد رؤساء اساقفتهم المدعو هرمن وقد الفه في عام ١٥٤٣ وجعل اكثره مبنياً على تعاليم لوثيروس . والكاهن عندهم يلبس في اثناء القداس ثوباً ابيض ويلقي على كتفه حمالة سوداء وللكهنة ثياب خصوصية خارج الكنيسة تميزهم عن عامة الناس والزواج مباح لهم خلافاً لغيرهم من كهنة الطوائف المسيحية . ولهم في كتاب الصلاة خدم مخصوصة بالصلوات المختلفة كصلاة الصبح وصلاة المساء وصلاة عيادة المرضى ودفن الموتى خلافاً لطائفة البرسبيتيريين وهي الطائفة الانجيلية الاكثر اهمية في اميركا ومنها اميركان بيروت وسوريا . فان هذه الطائفة ليس لها طقوس ولا كتب صلوات مطبوعة

وتعليم الكنيسة الانكليكانية موجودة في كتاب الصلاة وفي كتاب التسع والثلاثين عقيدة وكلاهما مترجم الى اللغة العربية . وقد وضع هذه العقائد الـ ٣٩ كرنمر وردلي . وكان عددها في الاصل ٤٢ عقيدة كما تقدم ولكن في عهد اليصابات قرّ رأي الرؤساء على حذف ثلاثة منها . وخلاصة هذه العقائد ان الكتاب المقدس هو وحده مصدر التعليم المسيحي وان الخلاص يكون بالايمان . وهي ترد رئاسة البابا وسر الاستحالة وخدمة القداس اللاتينية والمطهر والسجود للقديسين او لايقوناتهم وتحافظ على سر المعمودية والافخاريستا (الشركة) . واما تقليدات الكنيسة القديمة فتقبل منها ما وافق الكتاب المقدس موافقة صريحة لا تقبل التاويل . ويعتبر الكهنوت في هذه المواد كما يُعتبر لدى الكنيستين الشرقية والغربية اي موهبة تُعطى بواسطة وضع الايدي (الشرطونية) بحسب درجاتها الثلاث اي

الشماسية والكهنوت ورئاسة الكهنوت · وعلى هذا فان الكنيسة الانكليكانية قريبة من الكنيستين الشرقية والغربية بحيث تكون واقعة في نقطة الوسط بينهما من جهة وبين سائر المذاهب البروتستانتية من جهة اخرى · وهي تقسم الى ثلاثة اقسام اولاً الكنيسة العليا وهي الاشد تمسكا بكتاب الصلوات ومنها ظهر الانكليز المتكثلكون او محبو الطقوس وهم من اعلى طبقات الانكليز· ثانياً الكنيسة الدنيا وهي قلما تلتفت الى الطقوس وانما تصرف اهتمامها الى المبادىء والفضائل الدينية وتسعى في نشرها في الداخل· ثالثاً الكنيسة المتوسطة وهي موسومة بحرية الافكار والاهتمام بالمعارف والعلوم

اهميتها

وللكنيسة املاك كثيرة في انكلترا ولها يد طولى في سن القوانين لان الكنيسة معتبرة عند الحكومة كالهيئة المالكة للابنية والعقارات المختصة بها · وعليه فبسبب كونها من اصحاب الاملاك يلزم ان تشارك اصحاب الاملاك في سن القوانين للبلاد ولذلك تعتبرها الحكومة جدّاً· ولكل اسقف من الاساقفة المقيمين في بريطانيا كرسي في مجلس الاشراف · وسبب ذلك انه لما توحدت ممالك انكلترا صار الملك يطالب الكهنة بالضرائب وبحسب الشريعة الانكليزية ان كل من يدفع الضرائب على العقارات والاملاك يجب ان يكون له مَن ينوب عنه في البرلمان · وعليه الّف الاكليروس اولاً جمعية مختصة بهم تعمل عمل البرلمان وتنعقد وتنحل معه · وكانت وظيفة هذه الجمعية الى سنة ١٦٦٤ البحث في مسائل الضرائب وبعد هذه السنة حلوا هذه الجمعية وجعلو للمطارنة كراسي في البارلمان

وللكنيسة ايراد وافر من املاكها الواسعة ومن تاجير المقاعد في كنائسها وكاتدرائياتها ومن تقديمات عيد الفصح ورسوم التعميد والمآتم والاعراس · وتبلغ ميزانيتها خمسة ملايين جنيه انكليزي وهي تدفع رواتب باهظة لخدمة الدين اقلها ٨٠ جنيهاً في السنة · وجلالة ملك انكلترا محسوب رئيساً لها ولذلك يُسمى في لقبه « حامي الايمان » وهو يحكم في مسائلها الكبرى التي تُرفع اليه بدرجة استئنافية

والكنيسة الانكليكانية تميل الى الكنيسة الارثوذكسية وتود الاتفاق معها وقد سعت لهذه الغاية لدى بطريرك القسطنطينية غريغوريس السادس بواسطة رئيس اساقفة كنتربري في عام ١٨٦٩ فاصدر البطريرك المذكور على اثر ذلك منشوراً ياذن فيه بدفن الانكليكان بواسطة كهنة ارثوذكس اذا مست الحاجة · وفي عام ١٨٧٢ بعث الانكليكان على اثر اجتماعهم العام في اميركا برسالة الى متربوليت اثينا السيد ثيوفيلوس والى بطاركة المشرق يعربون بها عن ميلهم الى الكنيسة الارثوذكسية

بين مرسين وطرابلس الشام

بقلم جناب الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افبروف

(اذا عاش الانسان في هذه الحياة معيشة الفضل والعقل والتواضع وخفض الجناح واحتمل كل اذى وكل ضر بصبر جميل وصدر رحب ثم مات اشنع ميتة دون ان يذوق في حياته الراحة التي يستحقها اهل الخير فماذا تستنتج من ذلك ؟ الا تستنتج وجوب وجود عالم آخر افضل من هذا العالم تستريح فيه تلك النفس الفاضلة التي لم تجد غير العذاب في هذا العالم . وهكذا استنتج صاحب هذه القصيدة في وصفه حادثة حقيقية حدثت في العام الماضي على نهر في جهات طرابلس الشام . ونحن في هذا المقام نشكر جناب الناظم لتفضله بالاجابة الى ما اقترحناه عليه من نظم هذه القصيدة التي جعلناها جائزة لنفس فتاة فاضلة)

(الجامعة)

يامصاباً يضيق عنه احتمالي ... عمرك الله لا تمرَّ ببالي
ليت شعري أأنتَ حادث جدٍ ... ام خيالٌ من ساريات الليالِ
صدق النعيُ والحقيقة نادت ... يا لهولٍ من اشأم الاهوال

***

غادةٌ تزري بالنجوم بهاء ... صاغها الله آيةً في الجمال
ولدت في ثغر به الماء كالبلو ... رصافٍ ينساب في الادغال
بين روضاتٍ ظللتها خيامٌ ... من غمامٍ بوارفِ الاظلال
خيمتْ فوقها سما لازوردٍ ... رصعتها كواكب كاللآل
سابحات في موجها كعذارى ... مستحمات تحت جنح الليال
وسط تلك الجنات حسناؤنا قد ... نشاءت بين اهلها في دلال
زهرة للحياة قد بسمت كا ... صبح للشمس والدجى للهلال
ثمَّ اذ شبت بعد حين اتاها ... زائر الحب طاهر الاذيال
سمعت صوته اللطيف يناجي ... قلبها في براعة استهلال
فاطاعت ذاك النداء وزفت ... للحليل قد رافها في الرجال
ثم ان الزوجين عما قليل ... ودّعا رهط الاصدقا والآل

والى صقع آخر هاجرا قصـ دَ ارتزاقٍ وبسطةٍ في الحال
وباحدى البلدان بادئ بدء صادفا لليسار خير مجال
بيد ان الزمان اذ خان يوماً خسر البعل ماله من مالـ
وعلى اثر ذلك اعتلَّ في دا ء عقام قد اعتراه عضال
ثم ان السقام اضناه حتى لم يكن يُرجى معه من ابلال
فبتلك الاثناء صارت له الزو جة اماً فضلاً عن الانجالـ
ورفيقاً معزياً وملاكاً حارساً حتى حان وقت الزوال
فقضى نحبه وخلف اللار ملة الهمَّ مع صغار العيال
ولقد كان نجم قطب بعينيـ ـها ومصباح دفة الامال
في رضاه ترى العسير يسيرًا والبعيد البلوغ سهل المنالـ
تحسب القرب منه جنة عدن ولديه الحياة اهناء حال
ان اشار انقادت اليه بلين او نهاها تطيع دون جدال
واذا اغتاظ لا تحير جواباً او اجابت بالطف الاقوالـ
لا تكاد الاحزان تبدو على جبـ ـهتها حتى تبتلى بالزوال
كظلال الرياض فوق حياض حركتها الرياح في الآصال
ولئن كانت تذرف الدمع حيناً فوق خديها ساقطاً كاللآلـ
انما كانت فيه تزداد حسناً كالرياحين رصعت بالطلال

***

ثم ان الفتاة من بعد ذاك الو زء عادت الى ربوع الآل
وعلى اثر الخطب اسقمها الهـ مُّ فرامت تخفيف بعض الوبال
فانتحت ديرًا مع فتاها المرجى تبتغي وجه ربها ذي الجلال
فكأنَّ النفوس ترتاح ان تسـ تقبل الله في اعالي الجبال
ثم بعد المقام في الدير حيناً صممت ان تعود نحو الآل
فاستخارت وسافرت مع فتاها والمكاري تبغي محط الرحال
فالتقوا نهرًا فاصلاً فتحرى صاحب البغل قطعه باحتيالـ
اذ بدون القطع المسافة كانت حائلاً دون سرعة الايصال
ما درى انه بتلك المجاري سوف يلقي ركابه في الوبالـ

من عساه يدري اذا كانت الا   م به صاحت وهو غير مبالـ
و يك فاعدل عن العبور فبادا   ها المكاري بافظع الاقوال
وامتطى النهر طاغياً ماؤه يضـ   رب فوق الركاب حتى الشكال
ولقد حان للركوب عثارٌ   فهوى النجل ساقطاً في الحال
فارادت تخليصه امه فانـ   قلبت مثله لشر المآلـ
بيد ان المكاريَ السوء ظناً   منه ان الانام دون البغالـ
اخرج البغل في سلام وام   مع فتاها ماتا باسواء حال
ليت شعري من ظن ان بغالاً   تفتدى صاح بالنفوس الغوال
سلم البغل ناجياً وفتاةٌ   مع فتاها غاصا مع الاوحال
يمما « ميناء » اميناً فماتا   قبل ان يبلغا محط الرحالـ
يا قسيٌّ الصواعق الدهم هيا   واصعقي راس ذلك البغال
ليته لا تذوق اجفانه طعـ   م رقاد من مرعبات الخيال
وليعذب فؤاده وخز تقريـ   ع اليم يفوق وخز النصال
ولتطارده من ابالسة الوهم   جيوش بافظع الاهوال
ليت شعري هل ناله من لدن عد   ل القوانين صاح شر النكالـ
ام ترى اعتلت القوانين بالامـ   كان خلي والقلب والابدال
فمضى دون ان يُمس بقبض   او نجا مطلقاً بحل عقال
كسواه من الجناة الاولى قد   افعموا الارض من فظيع الفعال
واقل الجزاء كان لذيا   ك الشقي اللئيم ضرب النعال

***

ربما قال قائل بعد هذا   اين عدل المهيمن المتعال
مع فتاة كانت ملاك سلام   ولمعنى العفاف خير مثال
شقيت في حياتها مع زوج   قرنتها به ظروف الحالـ
معه ذاقت من العذاب صنوفاً   دون ادنى سآمة وملال
ولقد زاد طينها بلة ما   داهم الزوج من ضياع المال
فاعتلال بشرّ داء فموت   قد رماها في اسواء الاحوال
ثم لم يكفها الذي كابدته   من صنوف الويلات والاهوال

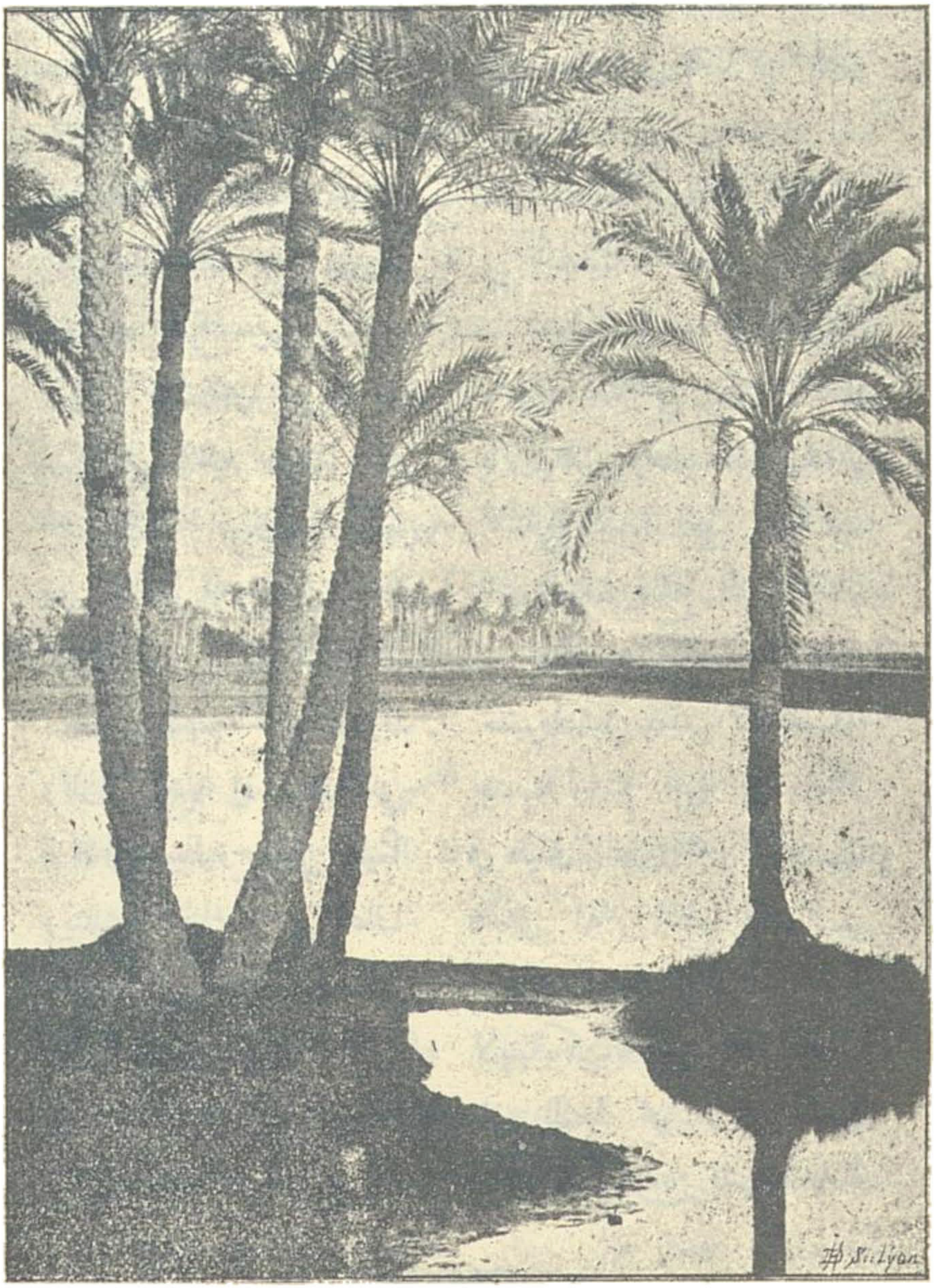
فاتتها المنون من حيث لا تد ري وسدت موارد الآمال
غرقاً ماتت مع فتاها المرجى فدية عن بغل وعن بغال
ليت شعري هل الفضيلة تجزى بوخيم العقبى وسوء المآل
ايها المشتكي السوء ورويداً في تجنيك واتئد في المقال
ان في ذا اقوى دليل على ان بعد هذي الحياة دهر تال
فيه يجزى خير بخير سواء وبحسن العقبى حميد الفعال
حيث يزهو وجه الفضيلة كالشم س سناء بل فاقها في الجمال

***

ولذا خاطب الفتى امه في نعشها ناطقاً بذي الاقوال
راعني يا اماه قرع النواقي س بطيئاً مقطعاً اوصالي
واحتشاد الجموع من حولنا ايـ ضاً اراه يزيد في بلبالي
اين كنا واين نحن ايا ام اه قولي وافصحي في المقال
حرت في ما اليه صرت ولكن يا ترى هل عرفت ماذا جرى لي
شمت في الماء صورتي في ثياب كالثلوج البيضا باعلى الجبال
وعلى هامتي اكاليل زهر فائح العرف رائع الاشكال
اخذقت بي آلاف آلاف غلما ن حسان الوجوه ولد دلال
بسطوا لي منهم اكفاً كان قد حضروا يا اماه لاستقبالي
وكان الزعيم اذ ذاك مني جذب الجسم نحوه في الحال
ثم طاروا بالروح مني جميعاً في طباق الفضاء نحو الاعالي
وبتلك الاثناء جسمي عانى داخل الماء افظع الاهوال
اترى يا امي جرى لك مثلي او رات عيناك الذي قد بدا لي
وكان الفتاة اذ ذاك قالت لابنها كن يا ابني براحة بال
خطفتنا ملائك النور من ار ض الشقا نحو ربها المتعال
والذي شمت انما بان في الما ء انعكاساً عن الفضاء العالي

نخيل مصر وزراعتها وتمرها

اهدانا بعضهم رسماً لاحدى جزائر النخيل في اثناء فيضان النيل · وقد وقع نظرنا ونحن نقلب هذا الرسم على كلام عن النخيل وزارعته ورد في تقويم المؤيد الذي صدر



﴿ جزيرة نخيل في النيل في اثناء الفيضان ﴾

حديثاً فاحببنا نشره في هذا الفصل للذين تهمهم المسائل الزراعية

﴿ زراعة النخل ﴾ توافق زراعة النخل الاراضي الرملية الرقيقة المحتوية على نسبة صغيرة من الطين ويكون ثمره افضل اذا نما يبطء في ارض ضعيفة · وهو يتكاثر اما بغرس النوى او بالنخل الصغير الذي ينبت من الساق الارضية للاناث وهذه الطريقة هي المعول عليها بخلاف الاولى التي لا تاتي بنفس الثمر ولا تحفظ نسبته الاصلية · وقبل نقل النخل الصغير تقلع بعض اوراقه الخارجية وتربط الباقية بحصيرة لوقاية الزر الانتهائي من حرارة الشمس وتفك الحصيرة قليلاً كلما اشتدت الاوراق ونمت وترفع الحصيرة تماماً بعد ٨ اشهر والابعاد التي تراعى في زرع النخيل ينبغي ان تكون من ٣٫٥٥ الى اربعة امتار من كل جانب ويكون الزرع في حفر تحفر طويلاً وتستعمل كساقٍ ولا توضع اسمدة مطلقاً واذا وضعت فتكون من اسبخة المواشي او من روث الاغنام والماعز · ويجب ان تكون ارض النخل رطبة عند جذوره لا سيما في ابتداء امره وحينما يزرع صغيرًا لا بد من سقيه مرة في كل اسبوع اثناء الثلاثة شهور الاولى ومرة في الاسبوعين مدة الثلاثة شهور الثانية ثم يروى في فترات معلومة من السنة بانتظــام وكثرة الارواء يجب ان تكون قبل التزهير · والنخيل اذا اجيد زرعه اثمر بعد ٤ او ٥ سنوات ولكن ثمره لا يكون وافرًا الا اذا بلغ ٨ سنوات وهو اذا اعتني به دام ثمره نحو جيل ولكنه ينحط في جودته بعد مائة سنة · والنخلة القوية تعطي ٨ سباطات (اقراط) في كل منها من ١٥ الى ٢٥ رطلاً · ويبدا البلح في تغيير لونه في اواخر فصل الصيف

﴿ بلحه ﴾ نخيل البلح منتشرة من بلاد النوبة الى البحر الابيض المتوسط وبلح الواحات والوجه القبلي الذ مذاقاً · وبلغ متوسط ما صدر منه من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ٦٤٥ طناً سنوياً بسعر ١٨ جنيهاً الطن · وصدر منه عام ١٨٩٩ — ٨٩٢ طناً بمبلغ ١٤٢٢١ ج · وعدد النخيل في الوجه القبلي اكثر منه في البحري وفي قنا اكثر منه في مديريات الصعيد وفي بني سويف اقل منه فيها وفي الشرقية اكثر منه في مديريات الوجه البحري وفي المنوفية اقل منه فيها · وضرائب النخيل بمقتضى قرار ٢٨ مايو سنة ١٨٨١ غرشان ونصف صاغاً عن كل نخلة تحمل ثمارًا وتعفى النخيل غير المثمرة او النامية في جنائن منزلية او في جبانات او في غيرها فانه لا يدفع عنها اموال · وظهر من تعداد سنة ١٩٠١ ان عدد النخيل التي تدفع الضرائب عنهــا ٥٢١٩١٩٣ نخلة والتي لا يدفع الضرائب عنها

٤٧٨٣٠٧٤ نخلة — وانواع البلح الذي يؤخذ من نخيل مصر هي : الرشيدي او السماني وهو مدبب الطرف غليظ الحجم صغير النواة و يزرع بقرب رشيد وعلى ساحل البرلس و يطلب بكثرة في اوربا والطريقة لحفظه قطع طرفيه وازالة النواة و رفع القشر وغليه في الماء ثم وضعه في الشراب الحلو · والزغلول لا يزرع منه الا القليل و يعمل مربى و ينضج بدريا و يكون طويلا كبيرًا ونواته صغيرة · والعمري ومنه اغلب الصادر و يزرع في الشرقية و ينضج موًخرًا وقبل ان يجف تمامًا يرتب في صناديق للتصدير · والسيوي وهو قصير ثخين اصفر ويكبس في بعضه لتكوين ما يسمى بالعجوة والنوع الجيد يوضع في اكياس من جلد بدون نوى · والحياني او البركاوي يصير اسود حين تمام النضج الذي يحصل قبل انواع البلح وقد ادخل من المرج الى القليوبية · والامهات وهو صغير اصفر تزول قشرته بسولة وينمو فيما عدا النواحي القريبة من البحر و يتخمر بسرعة لكثرة سكره واهم موارده البدرشين في الجيزة · والرملي و يتاخر في نضجه و يصير لونه الاحمر اسود حين النضج و ينمو بسرعة قرب البحر لا سيما في ضواحي الاسكندرية · وبنت عيشه وهو كبير ثخين مستدير احمر يصير اسود حين الارطاب ونواه صغيرة بالنسبة لغيره · والابريمي و يجلب جافًا من النوبة حيث ينمو بكثرة وهو طويل رفيع قمته سمراء فاتحة و يؤكل جافًا ونواته كبيرة وهو غير مطلوب بكثرة

﴿ اصلاح خطاء ﴾ وقع خطأ في عجز البيت الحادي عشر من قصيدة نابوليون (الصفحة ٤٤٨) فقد جاء فيه « لم يتمادى بعدُ » وصوابه « ولم يتوغل بعدُ » فلزم التنبيه

رأي عالم مصري وعالم سوري

﴿ في النهضة الادبية في الشرق ﴾

اما باقي الاجوبة فانها ستنشر في الجزء التالي بسبب ضيق المقام

لو اردنا نشر جميع الرسائل التي وردت علينا جواباً عن اسئلة الجامعة المنشورة في الجزء السابق بشان النهضة الادبية في مصر والشام لاستغرق نشرها صفحات هذا الجزء كله. فلا ريب ان تراكم الاجوبة الى هذا الحد يدلُّ على استعداد الافكار لهذا البحث وان الجامعة قد اصابت به الموضع المؤلم الذي يشكو منه جمهور القراء والكتاب في الشرق ٠ ومن الاتفاق الغريب انه لم ينتشر الجزء السابق حتى وقعت حادثتان محليتان جعلت الجرائد كلها تخوض في موضوع الصحافة وواجباتها وحريتها مما يدخل في البحث الذي نحن في صدده اذا اردنا ضمه اليه ٠ ولكن المجال محدود في هذه المقالة لتكاثر المواد فنكتفي في هذا الجزء بنشر رأيين لعالمين فاضلين كل منهما عَلم في قومه ومنار يستضاء به في عاصمتي الشقيقتين سوريا ومصر ٠ ولو ارادت مصر ان تُنيب عنها رجلاً من ابنائها في عكاظ العلم والادب لما وجدت خيرًا من جناب الامام صاحب الراي المصري ٠ ولو رامت سوريا ان تنيب عنها رجلاً من ابنائها في هذا المؤتمر لما وجدت ايضاً خيرًا من جناب الاستاذ صاحب الراي السوري ٠ فالكاتبان اللذان يمثلان مصر وسوريا في هذا البحث ممن تفتخر مصر وسوريا بهما وتعدانهما في مقدمة ابنائهما علماً وادباً وكمالاً ٠ وحسبنا ذلك للدلالة على قيمة رأييهما

(راي العالم المصري)

حضرة صاحب مجلة الجامعة اللامعة

«لعل الجامعة تعني بالصحافة الحاضرة والمجلات والجرائد ما هو منها في مصر وهكذا ينبغي ان يكون السؤال عنها خاصة ولذلك سيكون كلامي قاصرًا عليها ولا اذكر ما ينشر منها في غير البلاد المصرية الا اذا دعت الحال الى القياس والمقارنة

من البديهي وان غفل عنه كثيرون ان قيمة ما يُكتب تعلو وتنحط على حسب ما يكون من قصد الكاتب واثر المكتوب في نفس القارىء فان كانت الجريدة او المجلة

انشئت لمقصد نبيل وكان لما يدرج فيها اثر جميل في نفوس قارئيها قدرها قدرها العقلاء وُعدت من حاجيات البلاد او كمالاتها . فان افادت صاحبها مع ذلك غنى في مال او سموًا في مقام او بسطة في جاه كانت كالخلق الجميل ينفع صاحبه و يسر معاشريه والا كانت كالهمة العالية تُتعب من تكون له . وان رفعت به قومه واهله

وقد كان لمصر جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية ينشر فيها ما كانت تحب الحكومة ان تنشره من اوامرها وقليل من الاخبار الخارجية التي يروق للحكومة درجها فيها و بقية صفحاتها كانت وقفًا على مدح امير البلاد و بعض رجاله الفخام. واذا نكب الامير احد اولئك الرجال وجد محرر الجريدة اوسع المجال لذكر مثالبه والنيل منه فكانت قيمة الجريدة بمقدار ما تحتوي عليه ولهذا لم يكن الناس يشتركون فيها الا جبرًا

وانشئت بعض الجرائد والمجلات بعد ذلك ولكنها كانت اشبه بالرسمية . انشئت مجلة روضة المدارس يكتب فصولها اساتذة المدارس و بعض موظفيها وقليل من سواهم ولم يكن الغرض من انشائها الا اظهار كل كاتب ما عنده من العلم على زعمه افهم ام لم يُفهم اخذ القارئ حظًا منه ام لم ياخذ ولذلك ماتت بموت اصحاب تلك الرغبة ولم يرثها احد من الناس. وانشئت جريدة وادي النيل ولها ميل الى الغرض الذي انشئت له روضة المدارس فيما ينشر فيها من الآداب والى الجريدة الرسمية في المدح والهجاء . ولم يكن في عبارتها ما يسر غير ممدوحها ولا يسيء غير من صدر الامر بذمه فيها . ولكن كان في اسلوبها ما لا يسيغه الا ذوق كاتبها رحمه الله لهذا ماتت بموته غير ماسوف عليها من احد

ثم جاء زمن بحوادث غيرت الحال التي كانت عليها مصر من قبل وظهرت في الناس حاجة الى الاطلاع على ما يحدث بينهم فاحس بعض المهرة وطلاب العيش بهذه الحاجة فاسرعوا الى موافاة الناس بما يسدها ولكنهم وآاسفا لم يكتنهوا كنه الحاجة ولم يحيطوا بحقيقتها وغلبتهم حاجتهم الى الكسب العاجل فانشأوا جرائد مستقلة عن الحكومة لكنها اشتقت من جرائدها نجاءت من نوعها وعلى طريقتها من حيث اضطرارها الى ارضاء الحكام والامراء ومقالاتها في المدح والهجاء. وزادت على ذلك انها كانت في حاجة الى اجابة ما يطلب مشتركوها من ذلك وهم قوام معيشتها فكانت تنال اجرًا من الحكومة على بعض ما يكتب فيها ومن المشتركين على ما يوافق اهواءهم منها وصاحب الجريدة لا غرض له يرمي اليه من تعبه في تحريرها الا ان ينال مالاً او يكسب جاهًا يستثمره في جلب المال . ثم جاء من ينافسه فاتخذه قدوة وحذا في عمله حذوه . فما قيمة تلك الجرائد . هي قيمة الغرض الذي

انشئت له وذاك الغرض ان يعيش محرروها بحق او باطل. هي قيمة اثرها في الناس : وهو صرفهم عن كسب الفضيلة والتحلي بها الى الاكتفاء بذكرها ودفع اجرة نشرها

وانشئت جريدة من الجرائد لغرض سياسي حقيقي اثناء الحرب بين الدولة الروسية والدولة العثمانية . وكان يكتب فيها افاضل معروفون وكانوا يستشيرون العقل والحق والعدل فيما يكتبون . ولكن غلب على الجريدة مع ذلك حب الظهور ولم تجد اليه سبيلاً الا بسب من يعارضها فيما تكتب او يخالفها فيما تقرر خصوصاً ان كان المعتدي عدوها وكان عليها ان تمر به مر الكرام ولكن كان ذلك في طبيعة الوقت فجرت عليه فكنت ترى الجرائد في ذلك الزمن معارض سباب يضحك لمناظرها السفهاء ويبكي من عواقب ما تتقاذف به الحكماء

ثم ظهرت جرائد كثيرة في هذه البلاد لم يدعُ اربابها الى نشرها الا الحاجة الى الكسب سواء كان بتحميلها العامة فمن لم يحملها انتظر ما لا سبيل الى اتقائه من شتم وقذف ام كان بحملها على الحكومة فان لم تمدها بما تريد اتخذت الحرية سلاحاً ظالماً تشق به عن العورات وآلة لقلب الحقائق وتغييرها الى ضلالات وكثيرًا ما جرعت العامة ما خدر عقولها وخيل لها انها سعيدة في شقائها . غير ان ذلك لم يمنع بعض تلك الجرائد ان تتخذ لها سبيلاً الى مشرب من المشارب تثبت على وروده سواء كان ما يوافق العامة او يوافق الحكومة. لهذا قويت وصار لها كون مستقل بحيث لو ذهب شخص القائم بها صح لها ان تبقى وان يستمر وجودها اذا خلف الذاهب من يسلك مسلكه . ولكني لا انكر انها مع ذلك قليلة الفائدة لقلة ما يودع فيها مما ينفع الناس ولارضائها العامة بوهم لا حقيقة له

كان هذا شان جرائد الزمن الماضي الى ما يقرب من الحاضر ببضع سنين وبعضها استمر في ذلك الى الآن اما اليوم فامر الجرائد اصبح من اضر الامور بالعامة فانه اذا سدت السبل في وجه العاجز وكان يقدر على صف الكلمات بعضها بجانب بعض بادر الى انشاء جريدة تحت اسم ضخم ونادى في مقدمتها بانه لا يريد الا تقويم العقول وتغذية الارواح ثم شرع في تهديد بعض الاغنياء او الامراء او الحكام بكشف اسراره وابداء عواره لا يريد بذلك الا ان يشتري الناس سكوته

ويعظم هذا الخطر ضعف طبيعة اغلب العامة من هذه البلاد وميلهم الى الهزل وغلبة البطالة عليهم ولا شيء يدعو الى الاشتغال باعراض الناس كالفراغ من العمل ولا يسلي الناقص عن نقصه مثل عيب الكامل بما يُعاب هو به ولا لذة للناقصين تساوي لذتهم

بالحط من الكاملين

هذه العاقبة السيئة التي صارت اليها الجرائد في هذه البلاد لم تذهب على بصيرة بعض الناس قبل الحوادث العرابية وفي اثنائها حتى عملوا على السعي في اعدام الجرائد التي يسمونها جرائد اخبار ليستبدل بها مجلات ادبية لتربية العامة وافادة الخاصة تحت مراقبة من هو اهل لان يراقبها ويكون لها ذيول تجارية فقط تصدر كل يوم ولا عجب كان من ترقب تلك الحالة فانها من الترقي الطبيعي للنشأة الاولى

هذا الذي ذكرته فيما يختص بمعاني ما تنشره تلك الجرائد اما ما هو من ناحية الفاظها واساليبها فذلك مما يُحمد في قليل منها ولكنه يسوء اهل الذوق ويخيف اهل الغيرة على اللغة في الكثير الاغلب فانك ترى اولئك العجزة الضعفاء يخترعون الفاظاً من عند انفسهم يستعملونها فيما يشاؤن من المعاني ويهشمون بناء اللغة تهشيماً فلا يبالون بما يقدمون او يؤخرون لا يرجعون في ذلك الى معجم ولا يجرون على قاعدة فيزيدون اللغة ضعفاً على ضعفها ويصكون وجه الفصاحة ويصفعون قفا البلاغة وما ظنك بامة تهان فيها ملكة العلوم وهي البلاغة

اما المجلات فاغلب ما صدر منها انشيء على ذوق منشئيها اما لكسب المال من قوم مخصوصين تروج عندهم بضاعتها واما لنشر شيء من المعارف بين طبقة خاصة من الناس وهذا القسم انبلها ولكن الفائدة منه ليست عامة وقد يسوء اثره في الناس متى دخل فيه الغلو في مشرب او التفاني في نصرة مذهب والطعن في مذهب آخر بدون تحكيم الانصاف. غير ان المجلات اكثر خيراً واقل شراً من الجرائد على كل حال لانها لم تشتق من الشعر القديم القائم على عمودي المدح والهجاء كما اشتقت منه جرائد الاخبار

اما النصيحة للجرائد والمجلات فهي اولاً ان يمتاز اهل الفضل من اربابها بوحدة تجمعهم وتلصق بعضهم ببعض حتى لا تدع فرجة لدخيل فيما بينهم فيكونوا طبقة خاصة تفرق عند الناس ولا يمنعهم من ذلك الاختلاف في المشرب ولا الضغائن التي تسربت في قلوبهم من المنافسة فلهم ان يستمروا على اختلافهم وان يقيموا على ضغنهم وانما الذي عليهم ان يتلاحموا في الادب ليكونوا عصبة ينصرونه اذا هوجم ويقوونه اذا ضعف ثم يعودون فيما بينهم الى ما يحب كل منهم ان يكون عليه وهذا امر يسوءه العقلاء بل هو ما يمتازون به عن الحمقى والسفهاء

ثانياً ان ينظروا في جميع تلك الجرائد الاخرى فاذا وجدوا فيها ما يخالف حقيقة او يذل فضيلة او يروج رذيلة او يخالف شريعة او لغة حملوا عليه حملة واحدة ونفروا من

قراءته بكل ما تبلغه الاستطاعة وفي هذا وحده ما يقوي وجدتهم ويحمل النازل عنهم على الالتحاق بهم ومن لم يستطع ذلك كفت الايدي عن تناول ما يكتب خوف العار اللاحق من قراءته فتنضب مادته ويدركه الموت الفاضل قبل الحياة الخبيثة. وان يجتهدوا في تنقية عباراتهم مما يخالف اوضاع اللغة او يخرج عن اساليبها الصحيحة الفصيحة وذلك لا يجشمهم الا مراجعة المعجمات وبعض الكتب من فنون الادب

ثالثاً أن يبعدوا من مجادلة بعضهم بعضاً عن كل ما فيه تعريض بعيب او رمز الى مذمة . وان تتجه مقاصدهم الى تربية فكر يصح ان يكون عاماً في الاهالي ويحملوا الناس عليه كالعمل والاهتمام بما هو من العدل والتعاون على الخير والحق وان يجعل ذلك غرضاً يرمي اليه الكاتب في جميع ما يكتب مع تسهيل العبارة ما استطاع

رابعاً ان ينشىء كل منهم لجريدته شيعة تنصر غرض صاحبها وينصر هو ما نماه في نفوس اعضائها على ان يكون سبيل الجريدة وشيعتها ان يصل الى منفعة ثابتة في البلاد ولا يكون سبيلها كذلك حتى تراعي في العمل حالة الاهالي ودرجات استعدادهم وتدقيق النظر في كيفية قيادتهم الى منافعهم. اما ما عليه ارباب الجرائد المعتبرة الآن من اتباع اهواء العامة فمتى مدحت شيئاً مدحوه ومتى نفرت من شيء نفروا منه او تطلعهم لما يبدو على وجوه بعض الحكام من رضى وسخط فيرضون اذا رضوا ويسخطون اذا سخطوا فذلك مما يجعل الجرائد مزعزعة الاركان ضعيفة البناء تسقط لاول عاصفة تهب عليها من حيث كانت تنتظر السكون

ثم اخص المجلات بامر يجوز ان تشركها الجرائد فيه وهو البحث في عوائد البلاد واخلاقها والتنقيب عن مناشئها حتى اذا عرف ما عراها من الامراض واجيد تشخيصه وعرفت علله واسبابه بُحث في تدبير العلاج النافع له وقُدم الى الانفس بالمقدار الذي تحتمله

هذا ما خطر ببالي الآن ان اقوله والله يوفقكم الى صالح العمل والسلام

(رأي العالم السوري)

حضرة منشىء الجامعة الغراء

«الصحافة على الاطلاق ليس من ينكر عظم شانها وفائدتها في المجتمع الانساني . واما الصحافة الحاضرة فكيفما كان حالها هي نوع من الصحافة العامة ويصدق عليها ما صدق على تلك من الفائدة والاهمية ولا يناقض هذا الحكم العام الاجمالي ان يقال هذه الجريدة

مثلاً هي دون تلك او ان هذه المجلة التي يكتبها زيد اكثر مادةً واسمى موضوعاً من التي يكتبها عمرو

اما الواجب صنعه لتحسين حالها فان كان المراد بتحسين الحال ان تبلغ مبلغ الصحافة الغربية (وهذا ما يتبادر الى الذهن) فما ارى الا الايام كفيلة به لانه موقوف على اصحابها ومحرريها من جهة وعلى الامة من جهة اخرى

واصحاب الجرائد كاكثر اصحاب الاعمال العظيمة من شرائطهم ان يكونوا ممن يحسنون ادارة الامور العظيمة بحيث ينفعون و ينتفعون بها واما المحررون فان يكون كل منهم ثقةً فيما يكتب يُقتدى به في البلاغة ويُرجع الى قوله و يعول على رأيه في العلم

ولو فرضنا هنا ان اصحاب صحافتنا الحاضرة ومحرريها كلهم ممن تمت فيهم الشروط التي المعنا اليها لم يكفِ ذلك في ان تبلغ صحافتنا الحاضرة مبلغ الصحافة الغربية من اهمية الشان وعلو المكانة الا ان تكون الامة عندنا مستعدة لهذا التحسين استعداد الامم الغربيـة له . والمعلوم ان امتنا غير مستعدة لتحمّل حال تلك الصحافة الراقية وعليه فلو حاول بعض من اصحاب جرائدنا ممن هم مستعدون بالفطرة لادارة الاعمال الكبيرة ان يبلغ بجريدته من التحسين مبلغ مثلها في المنزلة من الجرائد الغربية فارصد لها راسمالاً كبيرًا واقام لهـا من الكتاب رجالاً يُقتدى بهم في البلاغة كما ذكرنا ويُرجع الى ارائهم عند التحقيق فمثل هذا الرجل لا يلبث ان يضيع راس ماله واذا تسامحنا فقلنا انه لا يُضيعه فلا اقل من ان تكون ارباحه تافهة لا يُعتدُّ بها . ورجال الاعمال على ما يُعلم (وعلى ما ينبغي ان يكونوا ايضاً) لا يقدمون على عمل ارباحه تافهة على حين يكون في امكانهم ان يديروا عملاً آخر غيره ارباحه كثيرة

والذي يؤخذ مما ذكرناه اننا لا ينبغي ان نطمع في ان تجاري صحافتنا الصحافة الغربية لكن ذلك لا يمنعنا من النظر في الوسائل الممكنة لترقيتها الى احسن ما يوءذن به استعداد الامة عندنا . وافضل هذه الوسائل على ما ارى ان يكون اصحابها من العارفين حاجة البلاد والامة ومن المخلصين في الخدمة وفوق ذلك ينبغي ان يكونوا من التهذيب والحنكة بحيث يستطيعون ان ينتقوا من المحررين من بهم الكفاءة وان يكتبوا هم ايضاً ويحرروا اذا مست الحاجة

اما النهضة الادبية في الشرق فان قلتُ انها حقيقيـة استحييت من كثيرين من الافاضل الذين كتبوا الى الجامعه وان قلتُ انها غير حقيقية استحييت من الافاضل الذين

يقولون انها حقيقية . والذي يتراءى لي انها غير اصيلة في الشرق بمعنى ان ابناءه لم يشعروا من انفسهم بالحاجة ابتداء ولا نهضتهم كنهضة مسافر يقصد وجهة معلومة انما ادركه الكلال فنام على الطريق وطالت نومته الى ان ايقظه لذع اشعة الشمس فانتبه مذعوراً من تقصيره فقام يجري لعله يدرك من تقدمه انما هي نهضة دعانا اليها الاجنبي ممن علموا بعض شباننا في سوريا ومصر فاجبناه وما رايناه ايضاً من عز الاجنبي الذي تهجم علينا في بلادنا فاننا لما رايناه امامنا بمراحل كثيرة في التجارة والصناعة ورابنا ما له فينا من نفوذ الكلمة وعلو المكانة قلده السواد الاعظم منا في ظواهر ترفه من لباس ومأوى وما الى هذين وقلده بعض خاصتنا وهم قليلون في طلب الادب والاشتغال ببعض مسائل العلم والسياسة . ولكن لا يزال خاصتنا هؤلاء مع احترامي لمقدار ما حصلوه مقلدين لعلماء الغرب يقولون بقولهم حتى في المباحث المتعلقة بعوائد الشرقيين واخلاقهم ولغتهم ولعلي مخطئ لاني انما اتكلم عن الطبقة التي انا منها طبقة المعلمين والكتاب الذين يعيشون بطريقة من طرق الاستخدام او ما يقرب منها كتاليف كتاب او ترجمة رواية

على انا نؤمل ان هذه النهضة كيفما كان اصلها تتقوى شيئاً فشيئاً وتقويها انما هو بكثرة عدد الناهضين فيها من سائر اصناف الطبقات ولا سيما الطبقة المدبرة على اختلاف مظاهرها فانها اذا تقوت كما اشرنا فلا يبعد ان تنقلب نهضة حقيقية تجري على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجاً

اما نصيحتي الخصوصية للشرقيين واعني بهم اهل سوريا ومصر والعراق العربي فانصح للمشتغلين بالتعليم ان يصرفوا وكدهم الى علم تهذيب الاخلاق وتربية القوى العاقلة والادبية وانصح للمشتغلين بالعلم من المعلمين والاساتذة وغيرهم ان يدرسوا العلوم الطبيعية ويتعمقوا فيها تعمق الثقاة الذين يُرجع الى اقوالهم فيها لا يقتصرون على علوم البلاغة والادب . واما الطلبة فان كانوا من ابناء الاغنياء والتجار فانصح لهم بعد ان يحصلوا كل ما في استطاعتهم تحصيله من مبادىء العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية والادبية ان يصرفوا وجهتهم الى درس علوم الاقتصاد والتعمق فيها

واما من سوى هولاء من اعياننا ووجهائنا واغنيائنا فلا انصح لهم انما اطلب اليهم ان يكونوا قدوة لنا في الاستقامة وفي الجد والنشاط والبعد ما امكن عن السفاسف وتقليد الغربيين في هاته الظواهر التي لا تزيدنا جاهاً ولا عقلاً انما غايتها ان تؤدي بنا الى الافلاس والمذلة يوماً ما . واكثر من ذلك فاني اطلب بل اضرع اليهم ان يستخدموا

جاههم في كل ما يعود على الامة بالنفع والخير العام ولا سيما في ان يجمعوا اهواءنا المتفرقة ويوجهوا التفاتنا الى جامعة كبرى سياسية ننسى عندها اختلافنا في المذاهب والاديان واختلافنا في الغنى والفقر وما سوى ذلك من اختلاف الجنسية والعوائد والاخلاق فاننا ما دمنا على حالنا هذه لا جامعة كبرى لنا يرتبط بها كبيرنا وصغيرنا . اميرنا وصعلوكنا . عالمنا وجاهلنا . تقينا وفاجرنا ولا لواء اذا نُصب نتسارع اليه من تلقاء انفسنا كتسارع افراد الامة الانكليزية الذي شاهدناه مؤخرًا في الحرب الترنسفالية . اذا لم يكن لنا هذه الجامعة الكبرى نذافع بها عن كياننا وامتنا فنحن بعيدون عن كل فلاح لا ينفعنا تحسين حال الصحافة ولا يعززنا وجود نهضة ادبية بيننا . بل مقياس منفعة الصحافة عندنا الآن واهمية النهضة الادبية انما هو بالنسبة الى ما ترمي اليه وتسعي فيه من ايجاد هذه الجامعة الكبرى التي نصير بها ابناء وطن واحد واعضاء جسم واحد هو الامة والمملكة

(ثم يلي ذلك ثناء على الجامعة يوجب الشكر لحضرة الاستاذ الكريم لتنشيطه اياها)

﴿ الجامعة ﴾ هذا ما وسعه المجال في هذا الجزء . ولا ريب في ان كل شرقي يتدبر المقال الذي تقدم بامعان واهتمام . وسناتي في الجزء القادم على بقية الاجوبة والرسائل خصوصاً الاجوبة الشعرية اللطيفة التي وردت من الشعراء ونرجو من اصحابها المعذرة لتاخير نشرها . والجامعة مستعدة لنشر كل ما يردها في هذا الموضوع

ولكن مع ضيق المجال في هذا الجزء ننشر جواب رصيفنا « المقتطف » عن المسائل التي نشرناها في الجزء السابق في هذا الموضوع . ومعلوم ان رأي « المقتطف » في هذا الشان رأي من يتتبع سير المشرق خطوة خطوة منذ ٢٦ عاماً . قال

«لا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل مسالة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان للصحافة الآن شأناً كبيرًا في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواه لدى ولاة الامور وصار كثيرون من ولاة الامور يلتفتون الى ما تقوله الجرائد فيمتنع صغارهم عن الحيف ويهتمّ كبارهم برفع الظلامات وهذا نراه كل يوم تقريباً. وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يوماً فيوماً فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار . عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول . وما في الصحافة من غث يزول بناموس « بقاء الانسب » ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلّ لها وغيّر بعضها لهجته حتى تناسب احوال العصر .

اما المجلات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل

«ونصيحتنا لرصفائنا اصحاب الجرائد والمجلات ان لا ينشروا شيئاً الا وهم واثقون تمام الثقة انه صحيح وان من نشره فائدة ما . فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافاً . ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جلياً من مقابلة حاله الآن بحاله منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولا سيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدّها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصدّ نساءها على الاقل . ومن المقرر ان الحكومة لا تستطيع ان تعلّم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة للفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلُّم والترقي ويجب عليها ان تساعدها فتنفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشىء المدارس ومكافأة من ينفع بلاده بتاليف او اكتشاف او استنباط . وربما كان خير ما نفعله ان نرسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سر ارتقائها حتى صارت قرينة لانكلترا ثم يعود الينا بالخبر اليقين»

افريقيا والمسيو هانوتو

﴿ وكلامه الجديد عن الدين الاسلامي ﴾

كأنّ المسيو هانوتو قد غار من المستر ويلكوكس . فانه كما ان المستر ويلكوكس التي خطبة منذ عدة اسابيع في مصر موضوعها « مصر بعد ٥٠ عاماً » ذكر فيها ما ذكر من المسائل الهامة التي ستتم في نصف قرن في مستقبل مصر كذلك راى المسيو هانوتو ان يتكلم عن المستقبل على سبيل قياس الآتي على الحاضر فالتى في المؤتمر الجيوغرافي الذي انعقد في هذا الشهر في وهران من اعمال الجزائر خطبة تكلم فيها عن افريقيا ومستقبلها وقال في اثناء هذه الخطبة عن الدين الاسلامي ووجوب اتفاق الاوربيين والمسلمين في البلاد الاسلامية كلاماً يجب على كل عاقل ان يمعن فيه النظر . ولذلك نلخص هذه الخطبة بما امكن من الايجاز حرصاً على فوائدها لا سيما ان الخطيب يتكلم عن القارة التي نحن فيها

ولكننا قبل تدوين نبوءة المسيو هانوتو بشان افريقيا لا باس من تدوين شيء من نبوءة المستر ويلكوكس بشان مصر . فقد قال المستر ويلكوكس في هذه النبوءة ان مصر

ستصبح بعد ٥٠ عاماً في عز عظيم . فان سكانها البالغ عددهم اليوم ١٠ ملايين نفس سيبلغ عددهم في هذه المدة ٢٠ مليون نفس . ويُزرع فيها الآن ٦ ملايين فدان من الاطيان اما بعد ٥٠ عاماً فسيزرع فيها ١٥ مليون فدان . وستنتشر السكك الحديدية في افريقيا انتشار الاعصاب في الجسم فيسافر السائح من راس الرجاء الى الاسكندرية على خط واحد. ويتخاطب ابناء اوغنده وابناء مصر بالتلغراف اللاسلكي كانهم في غرفة واحدة. ويقام للمستر سسل رودس تمثال على خط الكاب والقاهرة عند خط الاستواء كما اقيم تمثال لفردينان دي لسبس على ترعة السويس. وقس على ذلك ما اشبه من الاقوال التي من هذا القبيل

اما المسيو هانوتو فانه لم يقتصر في خطبته على مستعمرات فرنسا كما اقتصر المستر ويلكوكس على مستعمرات انكلترا بل انه ارتفع الى ما فوق المصالح الخصوصية ووسع موضوعه فجعل الكلام عاماً افريقيا كلها . وقد ابتدأ اولاً بذكر الاسباب التي حالت دون تمدين افريقيا وجعلتها آخر الاصقاع في التمدن فقال ان الاسباب محصورة في شواطئها الخالية من الثغور المناسبة لحماية السفن وانهرها التي تعترضها شلالات وصخور تمنع السفن من مخر عبابها « والذبابة القاتلة » التي يسمونها تسه تسه لانها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات. ومسالة الاتجار بالرقيق وما يتبعها من الشقاء وفساد الحال

ثم بحث المسيو هانوتو في هذه المصاعب واحدة واحدة . فقال ان الانسان اقتحم افريقيا اليوم ليمدنها وفي قبضته آلات جديدة ومبادىء جديدة

الآلات الجديدة

اما مسالة الثغور فان فتح ترعة السويس انقص اهميتها وغير وجهها . وسيتمكن العالم من توسيع الثغور الموجودة وفتح ثغور جديدة . واما مسالة الانهر وصعوبة السفر فيها فقد تسلط العلم عليها ايضاً وصار يتصرف بمجاري الانهار كما يشاء . وفضلاً عن ذلك فقد اقامت الصناعة لافريقيا فاتحاً عظيماً وهو « السكك الحديدية » . فان هذه السكك ستنتشر في كل حدب وصوب فتنفتح بها داخلية افريقيا الى البحيرات الكبرى التي كانت مقفلة في وجه التمدن . ونقيم على شواطىء هذه البحيرات تمدناً عظيماً

واما مسالة الذبابة القاتلة فقد خلق لها العلم عدواً لا تقوى عليه ايضاً وهو : الحديد. فان المركبات الحديدية تنقل البضائع من اقصى افريقيا الى اقصاها دون ان تؤثر تلك

الذبابة فيها . وفضلاً عن ذلك فان العلماء صاروا يجربون مداواة جروح هذه الذبابة بالمصل المستخرج منها وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تم لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة

وقد صار العلم يصرف جهده ايضاً الى شق الغابات الكثيفة المظلمة وادخال نور السماء اليها وتجفيف مستنقعاتها المضرة وصرف المياه من الاماكن التي تكثر فيها الى الاماكن التي تكون فيها قليلة او خزنها الى حين الحاجة واستخراج المياه التي في جوف الارض لارواء سطحها . وربما فكر ايضاً في اصلاح الصحراء نفسها فغرس فيها نوعاً من الاشجار يكون فيه شيء من صلاح حالها

اما الخيرات الكامنة في تربة افريقيا فان اللسان يقصر عن ذكرها كلها . ولو قال قديماً قائل للمرشال (بيكو) الذي فتح الجزائر ان في تربة هذه البلاد (اي الجزائر) مناجم فوسفات كافية لسد النفقات التي انفقت على فتحها لادهشه هذا القول لا محالة . وفضلاً عن ذلك فان في ظلمات الغابات الاستوائية الكبرى مادة هي من اثمن المواد في الزمن الحاضر واريد بها « الكاوتشوك » رفيق الحديد وساعده . ومن جهة اخرى تجد المعادن الماسية والذهبية منتشرة حوالى شواطىء افريقيا في امكنة مختلفة كانها نطاق معدني تتمنطق هذه القارة به

ثم ذكر الخطيب ايضاً وجود الزنك والفحم والبترول في التربة الافريقية وقال ان الانسان متى تمكن من استخدام الشلالات فيها اقام حوالى الشلالات في كل اقطار افريقيا كثيراً من المعامل العظيمة التي تكون مصدراً للثروة والغنى . وذكر السكك الحديدية التي تُمد الآن من الشواطىء الافريقية في جميع جوانبها الى داخلها فقال ان فرنسا انفقت في مستعمراتها الافريقية ثلاثة مليارات فرنك لتحسين حالها وانشاء الطرق فيها وان الطرق الحديدية تُوجه خطوطها الآن الى نقطتين عظيمتين . الواحدة بحيرة تشاد والثانية شلالات ستنلي . وغير بعيد ان يُعقد بين الدول اتفاق عام على وضع نظام عمومي لسير هذه السكك في المستقبل وادارتها كما تقتضي مصلحة افريقيا العامة فيصبح بذلك داخل افريقيا عبارة عن خلية عظيمة تشبه خلايا النحل بشدة ضوضاء الحركة والعمل فيها واتجاه قطاراتها من كل الجوانب الى مدن عظمى واسواق عمومية في قلب القارة . وهكذا يتحقق ما جاء في التوراة « فليسكن الله خيمة سام وليوسع بلاد يافث »

وانما يكون الفضل في اقامة هذا التمدن الجديد لابن العصر الذي يتغلب على افريقيا « بالآلات الجديدة العظيمة » لينشىء فيها « اعمالاً عظيمة » طلباً « للارباح العظيمة »

المبادىء الجديدة

اما المبادىء الجديدة الواجب اتخاذها في تمدين افريقيا فهي مخالفة للمبادىء القديمة التي كانت قاعدة للسياسة الاستعمارية في الزمن الماضي · فانه من المعلوم ان الاجنبي في افريقيا لا يستغني عن الوطني قطعياً لحرارة الاقليم فيها · ومن اجل ذلك يجب على الاجنبي ان يتخذ الوطني صديقاً ورفيقاً ويعامله بالقسط والعدل · وانه من العار على التمدن الاوروبي ان لا يتخذ في فتوحاته سواء كانت ناشئة عن مطامعه او عن حاجاته مبدءاً سامياً يرجع اليه في معاملة الشعوب التي تقع تحت حكمه · واول نعمة يجب عليه ادخالها الى افريقيا هي السلم والامن · ولقد ضايق هذا التمدن تجارة الرقيق ويكاد يستاصلها · ومتى تم ذلك وزالت عن تلك الشعوب والقبائل المصائب والنكبات التي كانت تجني ظهورها فانها تنصرف حينئذ الى الزراعة التي تحبها حباً ما وراءه حب كما قال الرحالة ليفنستون · وهكذا يكون « السلام الاوربي » لهذا العالم الجديد كما كان « السلام الروماني » للعالم القديم · هذا اذا لم تُصب الامم المتمدنة الاوربية بجنون هائل يستفزها الى اعادة بذور العدوان والنزاع الى هذه الارض التي لم يمر عليها زمن طويل وهي خالصة من شرور الحروب

وكما اننا مديونون لهم « بالعدل والسلم » فاننا مديونون لهم « بالتساهل الديني » ايضاً · ولست اشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة · فاقول ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في افريقيا ولا سيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذى هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال افريقيا) اكثر نشاطاً منه في غيرها · وهذا الدين يدعو الى اله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل الذاتية والاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يعود قادراً على التفلت منه · فعلينا واجب التساهل في هذا الشان · بل لا يكفي التساهل في ذلك ولكن يجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا لفهمه · ومن واجباتنا ان نتخذ الحديث الاسلامي « لا اكراه في الدين» شعاراً لنا لا نخرج عن حدوده وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارىء · وحسناً نصنع اذا كنا نذكر في هذا المقام كلمة للامير عبد القادر وهي تشبيه اصحاب الشرائع الثلاث بثلاثة اخوة من ثلاث امهات ·

ثم قال المسيو هانوتو ان العامل الثالث في تمدين افريقيا (غير المبادئ الجديدة والآلات الجديدة) هو العمل . ولكنه لا يريد بذلك العمل المضجر الشاق الذي يكرهه العامل بل العمل المحبوب الذي ياتيه العامل منبسط النفس قرير العين . فقال ان افريقيا بلاد زراعية وهي ستكون للامة التى تكون اقدر من غيرها على زراعتها واستمالة سكانها . وبناء على ذلك فهو يكره سياسة الفتح فيها و يطلب سياسة الحماية (كتونس خلافاً للجزائر) — ثم اثنى على مستعمرة الجزائر وقال انها اعظم مستعمرة اقامها التمدن الاوربي في القرن التاسع عشر . ولقد سرى سناؤها الى تونس فانجذبت اليها والى مراكش فاستمالت قسماً من سكانها . ثم حث عناصرها المختلفة بين مسلمين وكاثوليك و بروتستانت واسرائيليين على الاتفاق لترقية البلاد ونبذ الضغائن التي هي من آثار العصور الماضية والا وقعوا في العقاب الذي وقع فيه ابناء العصور الماضية اي الجهل والفقر والشقاء . وختم خطبته بما خلاصته :

«ويحق لنا ايها السادة ان نتامل في عبر التاريخ العظيمة . فان التمدن الذي رحل الى اقطار العالم عن هذه البلاد (افريقيا) قد اخذ الآن يعود اليها . ولكنه يجدها اكثر شقاء وخشونة مما كانت قبل رحيله عنها . على انه قد جمع في سياحته هذه آلات جديدة وسلطة قوية يقدر بها على محو الخشونة والشقاء الماضيين . فعسى ان الامم المتمدنة في اقدامها على اجراء هذه التجربة الكبرى في ارض حام تحفظ من كل الوجوه قواعد النظام الذي وضعته وناموس العدل والاخاء والانسانية»

مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لا يجوز ان يقرأها احد غير القارئات ﴾

« من مصر القاهرة

« عزيزتي كليمة .

« يسافر من عندنا في هذا الاسبوع ابن عمي « كريم » للتصييف في اعالي لبنان . ولذلك اغتنمتُ هذه الفرصة لا كتب اليكِ واسالكِ لماذا مضتْ عليَّ عدة شهور دون ان تكتبي لي . هل هذا نسيان ام كسل ام دلال . فان كان كسلاً او دلالاً فلكل شيء حد ياعزيزتي . وان كان نسياناً فلا ريب عندي ان اقامة ابن عمي كريم في وطنك

تجعلك تذكرينني دائماً بعد الآن .... فلا باس . انما اؤمل منك ان لا تجافي كريم كما تجافين غيره جرياً مع اخلاقك ... فهو اولاً ابن عمي وقد جاء في المثل « ان صديق صديقي صديقي » وثانياً انه شاب لطيف ظريف لا عيب فيه سوى انه قادر على ارضاء كل سيدة وكل مدموازل تراه فهو اذاً يستحق التفاتك يا كليمتي . ثم اسالك هل تحبين ياعزيزتي الاقامة في مصر لنعيش هنا معاً . اذا كنتِ تحبين ذلك فدعي كريم يعجبك... واللبيب من الاشارة يفهم . والسلام لك من صديقتك

« سليمه »

حاشية — مزقي هذا الكتاب بعد قراءته

«من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي سليمه — في مصر القاهرة

اخطأتِ ياعزيزتي فما هو بكسل ولا دلال ولا نسيان ولكني بعد انتهاء دروسي في المدرسة تراكمت عليَّ افكار سوداء فتركتُ قريتي وصعدتُ الى هذه القرية لعلَّ النفس تصفو من كدرها في اعالي الجبال القريبة من ابواب السماء . ولقد ساءني كتابك جداً لانه دلني على انك لا تزالين كما كنتِ من حيث المزاح والهزل . وعلى افتراض انني افكر بالامر الذي ورد في كتابك فهل تظنين انه يجوز لبنات مثلنا ان يتكاتبن فيه . كلا ياعزيزتي فان هذا الشغل ليس بشغلنا . سامحك الله على كتابك كما انني ارجو ان يسامحني على الافكار التي تجول في نفسي

«وان قلتِ ما هذه الافكار لم اكتمها عنكِ . فانني لما خرجتُ من المدرسة كنتُ كسمكة خرجتْ من الماء الى عالم غريب عنها . نعم ان ابي غنيٌّ واسع الثروة ولكن اي تاثير للغنى في تهدئة خاطر الانسان وتسكين نفسه . فبناءً عليه بقيتُ قلقة مضطربة حتى في وسط الابتهاج والفخفخة . ذلك لانني افتش عن الراحة والسعادة فلا اجدها . فاين توجدان ياترى ؟ افي السوق . انني حيثما التفتُ فيه اجد ابتساماً ولطفاً ولكنه ابتسام مسموم ولطف يلدغ كالافعى . افي الجمعيات والسهرات ؟ ولكني قد صرت اشمئز منها لما اراه فيها . فانني افرُّ من كل صاحبة تلقاني هناك فراري من العقرب لانني اخشى ان تلذعني بلسانها متى ادير لها ظهري . واهرب من كل شاب القاه هناك كما اهرب من ذئب مفترس . استغفر الله بل من حيوان اشد قسوة من الذئاب لان الذئاب الاعتيادية

لا تفترس غير اللحم واما الذئاب الناطقة فانها تفترس الصيت والشرف والادب

«ومما يزيد شجني انني لا اجد احداً « يفهمني » بل ان الجميع يستغربون انكماشي الدائم وانقباضي . وهم يسالون بعضهم بعضاً احياناً لماذا تجلس المدموازل كليمة في الزاوية مبهوتة وحدها . ولماذا اذا خاطبوها لا تجيب الا بابتسمة صفراوية معناها « خلوني وحدي » . ولماذا اذا ابتسم لها شاب تصرف وجهها عنه من غير ان تجاوب عن ابتسامه بابتسام مثله؟ السبب في ذلك ان كليمة لا تطيق هذه الهيئة التي يعيش الناس فيها الآن . فدعوها منكم ومن قبوركم المكلسة . اف اف من السيدات المسترجلات اللواتي يرمن الظهور بمظاهر الرجال والرجال المتأنثين الذين يرومون الظهور بمظهر السيدات

« ولو كانت امي وا اسفاه لا تزال في قيد الحياة لكنت اجد في المسرات العائلية الطاهرة ما ينسيني تلك الاحزان والاشجان . ولكنها ماتت من سوء حظي منذ سنتين . ماتت وهي تقول « ستبقى كليمة وحدها » ولقد صدقت فانني الآن وحدي لا رفيق لي غير ابي . ولكن الاب مهما كان حنوناً فانه لا يقوم مقام الوالدة

« هوذا قد سقطت هنا على الورقة دمعة من عيني . فماذا اصنع بها فانها ما نزلت الا تذكاراً لامي . أأمسحها بيدي . كلا فانها تتوسخ بالحبر و بتوسخها يتوسخ تذكار «ماَمتي» . اأطيرها بخاراً بوضع الورقة فوق حرارة النار . كلا واي يد تجسر على احراق تذكار حبيبتي . فانا اذاً اتركها حتى تجف على الورق ثم اقبّل موضعها اكراماً للغائبة التي سقطت من اجلها . واذا رمتِ تقبيل الموضع الذي قبلته انا لتمس شفتاكِ شفتيّ فضعي فمك على كلمة « الوالدة » في ختام الفقرة الماضية . ولكن فاعلمي انك بذلك لا تقبّلين دمعتي فقط بل تقبلين ايضاً والدتي

« لماذا وُجدنا في العالم ياترى ؟ ولماذا جاءت امي الى هذه الارض ثم رحلت عنها ؟ هل كان مجيئها لتترك بعدها فتاة ضعيفة مثلي تبكيها وتبكي نفسها ؟ ما هذه الحياة ؟ وما الغرض من المعيشة ؟ ولماذا ارى الدنيا هكذا سوداء في عينيّ ؟ وهل كل الناس ياترى في قلوبهم مثل هذا الجفاف وفي رؤوسهم مثل هذا القلق وفي عيونهم مثل هذه الدموع ؟

« ان نفسي تحدثني احياناً بدخول الدير ولكني اعود فاقول ان الدير وُجد لتبريد النفوس الحامية وتسكين القلوب المتقدة لا لفتاة مثلي تظنينها وهي في وسط الهيئة الاجتماعية كانها في دير منفرد على قمة جبل

« فمن كل ذلك تعلمين ايتها العزيزة سبب انقطاعي عن مكاتبتك وحالة نفسي في الزمن

الحاضر مما يجعلك تعتقدين بانني بعيدة عن الامر الذي تذكرينه في كتابك بعد الارض عن السماء . وبما انني ذكرت السماء في ختام كتابي كما ذكرتها في مقدمته فاسالي معي الهنا الذي منه اتينا واليه نعود ان يحسن خاتمتي . ودمتِ لصديقتك

« كليمة »

« من مصر القاهرة الى الحدث

« عزيزتي كليمة

« الحق اقول لكِ ياعزيزتي انني لم افهم شيئاً من كتابك . ماذا تقولين ؟ هل من كانت مثلك تهرب من الناس لانه لا يسرها فيهم شيء . ولم تفهم لماذا وجدت . وتطلب ان تدخل الدير . لقد صدق فيك ياعزيزتي المثل القائل « الله يبعث اللحم لمن ليس له اسنان » . وهكذا انت مع غناكِ . كيف تجدين الحياة سوداء وفي يديك من الاصفر والابيض ما يجعلها كلها بيضاء وصفراء وحمراء . هذا امر لم يُسمع به قبل الآن . فاطردي هذه الافكار من راسك ياعزيزتي وعيشي مثل باقي الناس

« بحياتك قولي لي ما الذي ينغص عيشك هذا التنغيص مع وجود كل الاسباب الداعية الى سعادتك . هل ان الخياطات عندكم لا يعرفن كيف يُلبسن جمالك المحبوب ام ان الاقمشة الجميلة النفيسة نادرة الوجود في اسواقكم . قولي فارسل اليك في اول وابور انفس الاقمشة واذا شئتِ « شحنتُ » لك خياطة ماهرة ايضاً . . ولا عجب ان تسوءك حالة اللبس في بلادك فان الفتاة جمالها في لبسها . وهنا مسالة اللبس ياعزيزتي فوق كل مسالة . ولا تستغربي قولي هذا لان على هذه المسالة الصغيرة في حد ذاتها تتوقف مسائل كبيرة جداً . فان الشبان لا يميلون الى المدموازيلات الا بواسطة التميق والتزويق . فالتي تروم ان تصطاد بسرعة على خاطرها تصرف كل نشاطها واجتهادها الى لبسها . هكذا يعتقد بعض البنات هنا . ولعل هذا الاعتقاد شائع في كل مكان ايضاً

وان لم يكن هذا هو السبب فما السبب اذاً . هل ان اباك يضيق عليك ويمنعك من المخالطة والمعاشرة كما تشائين . هذا امر سهل اصلاحه . ويكفي لذلك ان يجالس ابوك ابن عمي (كريم) مرةً واحدة فيعلّمه (كريم) ان ذلك العصر قد مات من زمان وان العصر اليوم عصر الحرية والامان

«وماذا بقي ايتها العزيزة . اليس عندكم بالآت ومنتزهات لتظهري فيها جمالك الساحر وقوامك الفتان وتقتلي السآمة والضجر . اف من القعود في البيت و ياما لحلى الخروج منه لتزيين الشوارع والاسواق مع باقي السيدات . فلعلكِ ياحبيبتي تزينين في كل صباح ومساء ربى لبنان اذ تتنزهين بين اشجاره وازهاره لطرد الانقباض من صدرك فارى من ههنا تغامز الطيور عليكِ وهي واقفة على اشجار الارز حين مرورك من تحتها . واسمع الازهار تنكس رؤوسها خجلاً منكِ حين مرورك بينها

«فهل ياعزيزتي يجوز لفتاة سعيدة مثلك محبوبة الى الناس والى الطبيعة مثل هذا الحب ان تترك الحزن والقلق يدخلان الى نفسها . ام هنالك سبب آخر تكتمينه عن صديقتك ومحبتك . افتحي لي خبايا قلبكِ ياعزيزتي واعلمي انك تخاطبين مَن هي اصدق لكِ من شقيقتك «سليمه»

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة	ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اللغة العربية الجديدة

﴿ واللغة القديمة ﴾

(ما في اقتراح المستر ويلمور من الصواب)

اتينا في الجزء السابق على تفصيل المناظرة التي جرت في القطر بشان ما اقترحه المستر ويلمور من وضع اللغة العامية في مصر موضع اللغة الفصحى في تعليم الشعب المصري والكتابة له . وذكرنا ردود مناظريه عليه ونقضهم اقواله . ثم قلنا في ختام ذلك الفصل ان في اقتراح المستر ويلمور عبرة وفائدة و وعدنا بذكر هذه العبرة والفائدة وانجازاً للوعد نقول

يزعم بعض فلاسفة العمران ان في كل قول ٍ حتى ما كان منه خطاء شيئاً من الصواب . واقتراح المستر ويلمور هو من هذا القبيل . فانه خطاء محض اذا نظرت اليه من جهة

لفظه ولكنَّ فيه شيئاً كثيراً من الصواب اذا نظرتَ اليه من جهة معناه . وغرضنا الآن الاشارة الى هذا الصواب

وبعبارة اخرى نقول ان المستر ويلمور مصيب كل الاصابة اذا كان غرضه في اقتراحه هذا انشاء اسلوب جديد للكتابة يفهمه جميع ابناء اللغة. فان اللغات لا يمكن استبدالها لان ذلك فوق طاقة الانسان وانما يمكن تغيير اسلوبها كأنْ يُهجر القديم البالي الذي كان حسناً في عصره الى الجديد الذي هو حسن ومفيد في هذا العصر . فاذا نظرنا الى اقتراح المستر ويلمور من هذا الوجه تغيرَّت مسألته وصار المقصود بها « تسهيل اللغة الفصحى على المعلمين والمتعلمين » لا استبدال اللغة العامية الساقطة بها . وحينئذ يكون صوته الجهوريُّ الذي دوى في فضاء مصر صوتاً يدعو الى امر في غاية الاهميـة ويشير الى احدى مصائب العلم والتعليم في اللغة العربية

نقول ذلك لاننا لا نجهل المصاعب العديدة التي تعترض طلبة العلم وناشريه في اللغة العربية . فاننا نعرف كثيرين من المعلمين يحسبون العلم محصوراً في اللغة ولذلك يصرفون اليها عقول تلامذتهم دون سواها من الفروع التي توسع دائرة العقل وتنمي الادراك . فيشب الولد بين ايديهم ويخرج من مدرستهم وهو لا يعرف غير « ضرب اضرب ضرَّب ضارب تضرَّب » وهذا بلاء شديد على الشرق . وانما كلامنا هنا عن المعلمين في المدارس الابتدائية التي هي بمثابة القوالب الحقيقية الاولى التي تتكون فيها عقول الطلبـة ونفوسهم فاذا كان غذاؤها قوياً من لباب العلم وثمار المعارف الحقيقية شبت قوية وكان في امكانها بلوغ حد البلوغ والرجولية . واذا كان غذاؤها ضعيفاً من قشور اللغة وما يتبعها من صرف ونحو وشعر دون سواها من المبادئ التي تقدم ذكرها فانها تبقى طفلة وان بلغت في العمر مبلغ الرجال

وكما ان هذا البلاء شديد على بعض المعلمين والمتعلمين في الشرق فهو شديد على بعض الكتاب ايضاً. فان هؤلاء الكتَّاب يصرفون اعمارهم في تصفح كتب اللغة القديمة وانتحاء مناحي بلغاء المتقدمين فينطبع في نفوسهم ان صناعة الكتابة لا تقوم الا بتنميق العبارة وذكر المترادفات من الالفاظ وانتقاء الضخم منها حتى انك حين قراءتها تخالها كالبندق الذي قال فيه الشاعر « خلي من المعنى ولكن له فقش » . وعلى ذلك تصير الكتابة عندهم عبارة عن الفاظ واسعة الاكمام ضخمة الاجسام يضيع فيها المعنى الذي تدلُّ عليه كما تضيع كأس من السكر في بركة من الماء البارد . او تكون اسلوباً جافاً ناشفاً تنتظم فيه

معانٍ قليلة بسلك معوج لا يفهمه القارىء الا اذا راجعه عدة مرات وربما راجعه طول النهار اذا كان ضعيف الفهم ولم يفهم منه شيئاً

فالفضل العظيم الذي يرجع الى المستر ويلمور في هذه المسالة هو في راينا حذفه مسالة اللغة بكلمة واحدة وذلك بقوله « استبدلوا العامية بالفصحى » فكانه قال للذين يقدّمون اللغة على كل شيء : انكم تشتغلون بالقشر وتتركون اللب فدعوا القشر واذا كانت لغتكم تحول دون تركه فاتركوها هي نفسها ايضاً واتخذوا اللغة العامية بدلاً منها طلباً للب الذي هو العلم الحقيقي والفائدة الحقيقية

اما نحن فاننا نقول للمستر ويلمور اننا نعدُّ هذا القول جناية على اللغة العربية . لان هذه اللغة الجميلة الحلوة لا اسهل منها على من يحسن تسهيلها ولا اطوع منها لمن يُحسن التصرف باساليبها . فالعجز اذاً انما هو في نفوس اهل اللغة لا في اساليب اللغة نفسها

وهنا نصل الى النقطة الهامة في هذا البحث . فنسال المستر ويلمور الاّ يعدل عن اقتراحه اذا ثبت له ان اللغة الفصحى قد تقوم بوظيفة اللغة العامية من ابلاغ المعاني الى افهام العامة . وهذا امر ممكن. وايضاحاً لذلك نقول

تقتضي « المخاطبة » ثلاثة امور. الاول المعنى الذي في ذهن المتكلم . والثاني الكلام الذي يُراد ايصاله الى فهم المخاطب . والثالث فهم المخاطب نفسه . فاذا كان معنى الكلام والكلام نفسه صريحين واضحين مسبوكين باسلوب على قدر فهم السامع وصل ذلك المعنى الى ذهن المخاطب بلا عناء ولا مشقة . فالعمدة في ذلك اذاً « المعنى » « والكلام » « والاسلوب »

وبناءً عليه اذا كان المتكلم مالكاً زمام المعنى ووضعه في الفاظ بسيطة حسنة مفهومة لدى العامة وسبكه باسلوب بسيط ايضاً تحتم وصول ذلك المعنى من ذهن المتكلم او الكاتب الى ذهن المخاطب لا محالة

مثال ذلك العبارة التالية

« ان المقصود بالسنن الموضوعة في السياسات كلها هو المدينة والكل لا الشخص »

فهل يعرف القارىء من اين اخذنا هذه العبارة ؟ لقد اخذناها من كلام للفيلسوف بن رشد في تعريبه كلاماً لارسطو . واصلها هكذا « هذه السياسات كلها المقصود بالسنن الموضوعة فيها انما هو المدينة والكلّ لا الشخص » فانظر ايهما اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان

وليس المراد بذلك ان العبارة التي بسطناها اولاً هي ابلغ من العبارة الثانية التي خطها قلم بن رشد كبير فلاسفة العرب وامير البلغاء · ولكن المراد انها اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان · وقد قال الجاحظ « كما لا ينبغي ان يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي ان يكون وحشياً الا ان يكون المتكلم به بدوياً اعرابياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس كما يفهم السوقيُّ رطانة السوقي » ومن ذلك يثبت ان الفهم هو شرط الجواز في استعمال المعاني والالفاظ

ولكن قد يصيح هنا كثيرون من محبي اللغة ويقولون ان ذلك يقتل ملكة البلاغة والفصاحة لانه يضيق دائرة اللغة ويقضي على اساليبها الجميلة وتعابيرها الانيقة · اذ ماذا يحل بنا وبلغتنا اذا وجب علينا ان لا نخاطب الناس الا بما يفهمونه ؟ · فالجواب عن ذلك سهل جدّاً على المستر وبلمور وهو قادر على ان يحجهم من كلام ائمة البلاغة انفسهم · قال الامام فخر الدين الرازي « اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد · واصلها من قولهم افصح اللبن اذا ذهبت عنه الرغوة · وهي بالاصطلاح عبارة عن الالفاظ المبينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمانوسة الاستعمال لمكان حسنها »

وقال ابو هلال العسكري « سميت البلاغة بلاغة لانها تُنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه » والبلاغة ماخوذة من قولهم « بلغتُ الغاية اذا انتهيتُ اليها وبلغتها غيري » وقال في الفصاحة « اما الفصاحة فقد قال قوم انها من قولهم افصح فلان عما في نفسه اذا اظهره · والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب افصح الصبح اذا اضاء » وقال في موضع آخر « يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ وجيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من احد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف »

وقال صاحب المثل السائر « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن واعني بالظاهر البين ان تكون الفاظه مفهومة لا يُحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة · وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مالوفة الاستعمال »

هذا ما يعتقده في الفصاحة والبلاغة ائمة اللغة وكتابها · واذا كان فهم السامع كلامَ المتكلم والقارىء كلامَ الكاتب هو الشرط في الفصاحة والبلاغة فقد جاز ان يُقال ان البلاغة والفصاحة عند الامم تكونان بحسب اخلاقها وعاداتها وحاجاتها واساليبها · فما يكون بلاغة وفصاحة في البدو لا يكون بلاغة وفصاحة في الحضر · وما يكون بليغاً لدى العرب

لا يكون بليغاً لدى الافرنج و بالعكس . فبناء على ذلك يجب على المعلمين والكتاب ان لا يتقيدوا بالماضي تقيد الاعمى فان « الماضي » انما هو الطفولية كما قال باكون والانسانية تتقدم صاعدة شيئاً فشيئاً في مراقي الزمن الازلية . وهي جسم حيٌّ كل ما فيه نامٍ : جسمه ونفسه ولغته فاذا تقدمت النفس وارتقت و بقيت اللغة متاخرة جامدة صارت النفس خرساء لا تحسن التعبير عن حاجاتها

فيؤخذ من ذلك كله ان المستر و يلمور مصيب في طلبه « لغة جديدة » غير « لغة الطفولية » ولكن هذه اللغة الجديدة المطلوبة التي تقتضيها حالة العصر و يوجب سير التمدن قيامها ليست اللغة العامية لان هذه لغة ساقطة ولكنها لغة بين اللغة الفصحى القديمة التي لا يفهمها العامة والخاصة ايضاً و بين العامية . وهذه اللغة الجديدة موجودة الآن وهي لغة المجلات والجرائد التي تُحسن اختيار الفاظها واساليبها وتتقي الخطاء فيها . فما طلب اذاً المستر و يلمور الا شيئاً موجوداً

نتج اذاً ان اللغة الجديدة التي ستكون اللغة العربية في المستقبل هي تلك اللغة البسيطة السهلة التي لا يكون فيها لفظ غير مالوف الاستعمال ولا تعبير من التعابير البدوية القديمة التي لا مسوغ لاستعمالها في زمن كهذا الزمان . هي تلك اللغة التي تغيب الفاظها وراء عرائس المعاني كانها زجاج شفاف يظهر باطنه مع ظاهره او نبع صافي الماء تُعدُّ في قعره درر الحصى واحدة واحدة . هي تلك اللغة التي يقرأ ابناؤها مقامات الزمخشري والحريري واليازجي ورسائل الخوارزمي والهمذاني فياسفون على الوقت والقوى التي انفقوها في صف الالفاظ بعضها وراء بعض ويضحكون من تلك الكلمات الغريبة والاساليب العجيبة كما ضحك اعرابي من بيت لابي تمام تُلي عليه فلم يفهمه وقال انه ليس بعربي . هي تلك اللغة التي اذا مات رجل عظيم من ابنائها قال كاتبها في تأبينه « مات رجل عظيم » لا « كسفت الشمس وخسف البدر ومادت الجبال وغارت البحار » . بل هي تلك اللغة التي كل كاتب وكل معلم من ابنائها يكتب في دفتره الخصوصي مقال الجاحظ « ليست الفصاحة بالتفصح لانه لا يزيد متزيد في كلامه الا لنقص يجده في نفسه »

وربما اتينا في عدد قادم على امثلة من اللغة القديمة والحديثة ماخوذة من الكتابات القديمة والحديثة ليعلم القارىء منها ان في القديم شيئاً كثيراً حديثاً وفي الحديث شيئاً كثيراً قديماً

آثار الشرق القديمة

آثار من زمن ابرهيم الخليل

﴿ اكتشاف جديد ﴾

صرف المسيو مورغان الباحث الارشيولوجي زمناً طويلاً في البحث عن الآثار القديمة في بلاد فارس وقد عاد منها الى باريز بكثير من الآثار التي وجدها فيها · ولقد جعلت له الحكومة الفرنسوية مكاناً مخصوصاً في قصر الفنون الكبير لعرض هذه الآثار فيه وسيفتح هذا المعرض في اول مايو القادم

وقد حدث المسيو مورغان عن هذه الآثار فقال انها في غاية الاهمية من حيث الدلالة على تمدن مملكة علام القديمة · ومملكة علام هذه مملكة مجاورة لبلاد الكلدانيين وكانت قاعدتها مدينة سوس · وهذه المدينة مشهورة بانها كانت عاصمة السلطنة الفارسية في زمن داريوس · وفيها وجد المسيو مورغان الآثار العلامية التي نحن الآن في صددها

ومن هذه الآثار كثير من الالواح الحجرية الموجودة في المدافن والبرونز والزجاج والطين الجاف · وعلى اكثرها كتابة باللغة العلامية اكثر حروفها ظاهر كانها مطبوعة عليها من زمن قريب

وكانت المادة التي يتخذونها لطبع الكتابة عليها الطين الجاف على الغالب · وكان لهم في ذلك طريقة خصوصية · وهي انهم يطبعون عليه اولاً الكلام الذي يرومون تخليده ثم يعمدون الى طبقة اخرى من الطين الجاف فيطلون بها سطح الكتابة ويطبعون عليه نسخة اخرى من ذلك الكلام · فاذا وقع اختلاف يوماً ما في اصل هذه الكتابة كسرت الطبقة الثانية وهي الظاهرة وعورضت كتابتها بالكتابة الاصلية المطبوعة على الطبقة الاولى · وبذلك يزول كل خلاف

واهم هذه الآثار كلها عمود نقشت عليه شريعة العلاميين المدنية والتجارية والزراعية وهي تدل احسن دلالة على مبلغ تمدن الامة العلامية في ذلك الزمن · وطول هذا العمود

متران ونصف متر وهو مصنوع من الحجر الصلد وعليه كثير من العلامات والرسوم تمثل الملك خامورابي احد ملوك بابل واقفاً والناس يعبدونه

وقد قدَّر المسيو مورغان ان هذا الملك كان من معاصري ابرهيم الخليل ابي اسحق واسماعيل لانه حكم بابل قبل الميلاد المسيحي بالفي سنة . ولذلك يسمي آثاره «آثاراً من زمن الخليل ابرهيم» فيزداد الناس اهتماماً بها والتفاتاً اليها

اما الشريعة العلامية المنقوشة على هذا العمود فانها تبتدىء بدعاء الى الآلهة عليه مسحة التصور والشعر . وتتلوه بنود كثيرة تريك حالة الانسان في العصور الاولى . واليك بعض هذه البنود :

« اذا اضطرمت النار في احد المنازل وركض احد لاخمادها ثم خطر له ان يسرق شيئاً من ذلك المنزل وجب القاؤه في النار المضطرمة

« اذا نقب احد منزلاً ليسرقه وقُبض عليه فانه يجب قتله ودفنه امام الجدار الذي نقبه

« اذا قطع احد شجرة من غير اذن صاحبها وجب ان يدفع اليه مبلغاً من الفضة

« اذا استاجر بقرة وماتت من سوء معاملته وجب ان يردّ الى صاحبها بقرة مثلها . واذا كان قد قلع عينها فقط وجب ان يدفع اليه نصف ثمن مثلها

« اذا وهب رجل امراته شيئاً من ماله او من حقوله و بساتينه فليس لابنائه ان يستردوا منها شيئاً بعد وفاته . ولها ان توصي بالمال الموهوب الى الولد الذي تختاره

« اذا اودع رجل لدى رجل آخر وديعة ولم يكن عليها شاهد ثم وقع خلاف بهذا الشان فلا يجوز رفع هذه القضية الى المحاكم

هذه فقرات من الشريعة العلامية والفارسية القديمة التي اكتشفت حديثاً . واذا كانت جميع الشرائع الحاضرة ماخوذة في الاصل عن الشريعة الفارسية كما زعم بعضهم فان هذه الشريعة تكون اصل شرائعنا الحاضرة كلها . وقد قرأ هذه الفقرات باللغة العلامية المسيو شيل العالم بهذه اللغة . ومن تصفح كل الآثار التي نحن في صددها وقف منها على تاريخ مملكتي العلاميين والكلدانيين وعلى وصف احوالها الاجتماعية وصفاً كاملاً

وهكذا كلما قدم عالمنا وشاخ ابرز العلم من بطن الارض العوالم العديدة التي تقدمته فيصير القديم حديثاً والحديث قديماً

باب التقريظ والانتقاد

هملت

تعريب جناب طانيوس افندي عبده

نشرنا في الجزء السابق ترجمة شكسبير اشعر شعراء الانكليز واعظم مؤلفي الروايات في العالم . ولم يكد يصدر الجزء الذي فيه الترجمة حتى وردتنا رواية « هملت » التي هي احسن رواياته معربة بقلم جناب الفاضل ظانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء في الثغر . وقد ذكرنا موضوع هذه الرواية الجميلة في ترجمة شكسبير . وخلاصتها ان ملك الدانمرك قتلته زوجته بالاتفاق مع اخيه ثم اقترنت بشريكها القاتل وخلفاه على العرش . وكان للملك المقتول ولد يدعى « هملت » وهو بطل الرواية فبعد وفاة ابيه تجلت له روحه متجسمة واطلعته على انه لم يمت موتاً طبيعياً ولكن قتلاً بيد اخيه وزوجته . ثم حثته الروح على الانتقام من القاتل . وكان هملت يحب « اوفيليا » ابنة بولونيوس حاجب الملك وكانت الفتاة تحبه ايضاً حباً شديداً . ولكن لما درى هملت بالجناية التي وقعت في ابيه انصرف فكره اليها فاشار على حبيبته ان تدخل الدير فراراً من مفاسد العالم . وكان ذلك « نتيجة استغراق الفكر والهم كل عواطف النفس وايباسها ايباساً » كما قلنا في الجزء السابق . وبعد ذلك تفرغ هملت للانتقام من عمه فاظهر الجنون . وبينما كان في ذات يوم خالياً بامه يعنفها على جنايتها تعنيفاً هائلاً واذ دخل عليه ابو حبيبته فقتله هملت خطاء لانه ظنه عمه داخلاً عليه . فجنت حبيبته لمقتل ابيها والقت بنفسها في النهر . فلما درى بذلك شقيقها طلب مبارزة هملت لانه كان السبب في شقائه . وقبل المبارزة دسَّ الملك مَن وضع في قبضة خصم هملت سيفاً مسموماً وجعل له سماً في كاس الشراب حتى اذا نجا من السيف لم ينجُ من الكاس . ثم تنتهي الرواية بان السيف المسموم يصير الى قبضة هملت فيصيب به خصمه فيقتله . واذ ينتصر على مبارزه تشرب امه الكاس المسمومة وهي تحسب انها تشرب نخب ولدها لانتصاره وبذلك تموت . اما هملت فانه لما يعلم ان السيف الذي في يده مسموم ويرى ما جرى امامه يطعن به عمه . وحينئذٍ تظهر روح ابيه امام الجثث

الممددة على الارض ونقول له : اصعد امامي الى مقام عمك فما خُلق هذا العرش الا لاجلك

هذا موضوع هملت · ولكن في هذا الموضوع شيئاً كثيرًا من الافكار السامية والعواطف الرقيقة التي اجاد جناب المعرب في نقلها · من ذلك قول هملت وهو يندب اباه

ابتي اين انتَ تنظر ما تمْ صار عرساً ذاك الذي كان مأتم
قبض الموت روح زوجك يا ام وقد كان قبل فيك متيمْ
اتخونين روحه ثم لا يثنيك ان ابنه بها قد تجسَّم
اي فرق بين الكواسر والانسان ان كان قلبه ليس يرحم
ان تكوني احبيته وهو عم فلكِ ابن اولى بحبك من عم
انما انت مع حليلك هذا حية قد تحالفت مع ارقم

ولما رام هملت مقابلة روح ابيه قال له صديقه هوراتيو « ماذا تفعل الا تخاف » فاجاب هملت بهذا الجواب البديع الذي يدل على عظمة نفسه ويأسه من الحياة « على مَ الخوف ايها الصديق اعلى حياتي وهي من بنات الموت ام على نفسي وهي من بنات الخلود » فلا خلاف في ان هذا من روح شكسبير

ثم يشتد اليأس بهملت فيصيح من اعماق قلبه

فجعتَ يازمناً تغير عهده حتى كأنَّ ضياءه ظلماتهُ
زمن يعلمنا الفجور ملوكه فيه وآثام الخنا ملكاته

ومن الغريب ان يمرَّ قول كهذا القول على جمهور الناس في مرسح الملعب العباسي حين تمثيل هذه الرواية ولا يثير في نفوسهم اشد الاستحسان والحماسة في زمن كهذا الزمن

ولما اظهر هملت الجنون والتقى بحبيبته اوفيليا قال لها « ايتها الفتاة اسرعي الى الدير » فقالت ولماذا قال « لانك عظيمة في نفسك وجمالك وكل عظيم يكون هدفاً لسهام الزمان ····· ايتها الفتاة انك تجدين في الدير على الاقل حجاباً كثيفاً بين هذا العالم الفاسد وبين قلبك النقي · هنالك حيث تناجين الله في صلواتك الطاهرة وحيث يفوح العفاف من نسمات انفاسك النقية فلا يصدأ بانفاس البشر ولا ينشقها غير ملائكة الله »

فقالت اوفيليا « هناك حيث اصلي واحب واموت · نعم فقد طالما حدثني قلبي الكسير بهذا المصير »

فقال هملت « ادخلي الى الدير ايتها الفتاة فان ذلك خير لك وابقى · ولئن تلقي

الله عذراء نقية نخيرٌ لك من ان تلقيه زوجة تكذب في كل يوم على زوجها وعلى نفسها وعلى الله · تلك المراة التي تقسم اعظم الايمان المقدسة على ان حبها دائم الى الابد ولكنها لا تلبث ان تشرب اول كاس من كؤوس هذا الغرام حتى تدنس تلك الايمان وحتى يصبح ذلك الابد الطويل يوماً واحداً فان غرام المراة لا يزيد عن اليوم· ادخلي الدير ايتها العذراء فان اسوار جهنم ما بُنيت الا بذنوب اولئك النساء » فقالت اوفيليا « ان كلامك ياهملت هائل ومخيف » فقال هملت « كلا ولكن هي الحقيقة تقرع الاسماع · خذيني مثلاً ايتها الفتاة يهن عليك الامر · الم يكن الاجدر بامي ان تخنقني بالمهد بدلاً من ان تلدني على فراش الالم ··· اصغي اليَّ ايتها الفتاة اذا اردتِ ان تتزوجي بعد جميع ما قلتُ فتزوجي الموت فهو ستار العيوب ··· او اقترني اذا كان لا بدَّ من الزواج برجل لا عقلَ له فان العاقل يعلم في الحال انه آلة بيد امراته·· اسرعي الى الدير »

وفي موضع آخر ينفرد هملت بحاجب الملك ويقول له مظهراً الجنون ومشيراً الى السماء : « انظر الى هذه الغمامة اليست هي التمساح » فيقول الحاجب « ما هذا الاتفاق الغريب اني اراه جلياً حتى اني ارى انيابه بارزة من الفك » فيقول هملت لصديق له « لم يكن شيء في السماء ولكنهم تعودوا التمليق حتى مع المجانين »

وفي موضع آخر ينفرد هملت بنفسه و يصيح وهو يستعد للانتقام من عمه

وقبيح قتل النفوس ولكني تعلمتـه من الاعمام

ولما ماتت اوفيليـا جاء هملت الى حفرتها وجلس هناك يندب الدنيا وفنائها ومما قاله بلسان المعرب

وانك ان مثلتَ يوماً لغادة … وكانت لدى مرآتها تتخضبُ
والفيتَها سكرى من الدلّ والصبا … تُهاب وتُرجى حين ترضى وتغضبُ
فقل هامساً في اذنها عابثاً بها … كفى الحسن تيهاً انه سوف ينضبُ
فان جمال النفس في النفس خالد … وان جمال الوجه بالوجه يذهبُ

و بعد ذلك يتبارز هملت واخو حبيبته على ما تقدم وتنتهي الرواية بمصرع عمه وامه اي بانكسار الرذيلة وانتصار الفضيلة

هذه بعض محاسن هذه الرواية · ومنها يعلم القارىء التعب الذي عاناه معربها الفاضل لسبكها في قالب يليق بمؤلفها شكسبير · بقيتْ هنالك هفوات صغيرة لا نرى بداً من الاشارة اليها بعد ذكرنا محاسن الرواية · منها حذفه جواب الشرط في عدة مواضع ·

مثال ذلك قوله في الصفحة ١٨ « اذا استمر على غواية اخي لا يلبث سيفي مقيماً في غمده» وصوابه « فلا يلبث » اي بادخال الفاء على لا جواباً للشرط · وقوله في الصفحة ٩ « عليه ملامح الجلال » والصواب « لوائح » لان الملامح تطلق على الشبه فيقال « عليه ملامح من ابيه » اي هو شبيه بابيه · وقوله في هذه الصفحة « عرفته انه شبح ابيك » والاحسن «عرفت انه شبح ابيك » وفي الصفحة ٢٠ يقول هملت لروح ابيه « ايتها الروح سواء هبطتِ من دار النعيم او قذفتك نار الجحيم » فهل من حسن الذوق ان يقول ذلك ابن عن ابيه · وفي الصفحة ٢٣ تسال الروح هملت « هملت هملت اتحب اباك » فيجيب هملت « لا احب سواه » وهذا التعبير خطأ لان هملت يحب اوفيليا حباً شديداً · وفي الصفحة ٢٥ « دع الآن كل مطمع الى المجد » والصواب « مطمح الى » او « مطمع في » وفي الصفحة ٣٢ « والذي اراه ان موت ابيه الذي احدث فيه هذا الانقلاب » وصوابه « هو الذي احدث فيه » اي بادخال ضمير الفصل حذراً من الالتباس · وفي الصفحة ٦٤ « يدخل ليكانيوس اخ ملك التمثيل » وصوابه « اخو » وفي الصفحة ٦٩ « انها صناعة يقتضي درسها وانا لم ادرس منها شيئاً » وصوابه « يجب درسها » والا يجب ان يقال « يقتضي درسها عناء » وفي الصفحة ١٠٤ « فقد يمكن ان يصنع من جسم القيصر وانيبال احقر الآنية » والصواب ان شكسبير يريد في الاصل « يوليوس قيصر الروماني وانيبال » لا كل قيصر على الاطلاق · وفي الصفحة ١٠٦ في البيت السادس «لا يرثُ دعه لا تجيب الا ترى » وصوابه لا تجبْ و بذلك يختل وزن البيت · وفي الصفحة ١١٣ (يرتاح المتبارزان) وصوابه يستريح · وفي الصفحة ١١٧ « خمراً مسموماً » والصواب « مسمومة »

وربما كان بعض ما تقدم ذكره ناشئاً عن خطاء في الطبع · على ان ذلك لا ينقص من فضل الكاتب خصوصاً لانه من الكتاب العصريين الذين يجتنبون التقعر في الكتابة وينحون منحى الطبيعة بصرف النظر عما وراء ذلك من الامور الصغيرة التي لا تؤثر في الغرض الحقيقي المقصود من الكتابة · فنحن نثني على اجتهاده وفضله ونتمنى ان يتحف قراء اللغة العربية في كل عام برواية جميلة كهذه الرواية

﴿ يوبيل قداسة البابا ﴾

احتفل العالم الكاثوليكي في هذا العام باليوبيل الفضي لقداسة البابا لاون الثالث عشر فيلسوف الكنيسة الكاثوليكية والربان الحاذق الذي انقذها في القرن الماضي من

الاخطار العديدة التي كانت امامها كما جهر بذلك خصومه واصدقاؤه . وقد اقيمت في ذلك اليوم للحضرة البابوية احتفالات عامة في جميع الاقطار الكاثوليكية واماما الآن كراس عنوانه « صدى الوطنية » مرفوع من المدرسة الوطنية الكاثوليكية في بعبدات الى العرش البابوي حاوية التهنئة بهذا اليوبيل . فنحن نشارك اخواننا في تهانئهم ونرجو ان يتعود عقلاء الشرق مشاركة بعضهم بعضاً في السراء والضراء في كل حوادث حياتهم بصرف النظر عن الامور الصغيرة الثانوية التي تقسمهم

﴿ تقويم المؤيد ﴾

لمؤلفه جناب الكاتب المشهور محمد افندي مسعود

في كل عام يصدر من ادارة جريدة المؤيد الغراء كتاب صغير الحجم جليل النفع لمؤلفه حضرة محمد افندي مسعود احد محرريها . ولو اردنا تقريظ هذا الكتاب لوضعنا كلمات الثناء تحت كل صفحة من صفحاته وفي كل باب من ابوابه الاربعة والعشرين الا باب التنجيم والطوالع الموضوع فيه لغرض فكاهي عامي لا لغرض علمي كما نظن . وهذه الابواب الاربعة والعشرون هي عبارة عن انسيكلوبيذية صغيرة تدخل فيها فوائد عديدة في علم الفلك وتاريخ العالم والجوغرافيا وتراجم الرجال واحوال مصر والاكتشافات والقضاء والطب والزراعة واسماء ارباب الرتب . ولما اردنا نشر شيء من هذا التقويم في الجامعة تنازعتنا ابوابه كلها لان كل باب اكثر فائدة من اخيه . ويقيننا على ما نعرفه في همة المؤلف وطول باعه ان هذا التقويم سيصير باستمرار الارتقاء في كل عام مضاهياً للتقاويم الاوربية التي تصدرها المكاتب الكبرى في اوربا . وهو يفضلها لدى ابناء الشرق من حيث ان كثيرًا من مباحثه مبني على المواضيع الشرقية . ولذلك نحث كل قارىء على اقتنائه لاجتناء الفوائد التي يتعب مؤلفه الفاضل في جمعها فيه طول السنة

﴿ المصور ﴾

لمنشئه جناب الفاضل خليل افندي زينيه

يعرف القراء في مصر جناب الكاتب الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام سابقاً وصاحب كتاب العلم والتربية الذي نقلنا احد فصوله في السنة الاولى . وقد ساء الكتاب والقراء خروج جنابه من عالم الاقلام بعد مفارقته تحرير الاهرام

بقدر ما سرّهم عوده اليه الآن بجريدة المصور التي انشأها لنشر الفوائد وطبع الصور بالالوان لتمثيل الحوادث الكبرى التي تقع في العالم . وقد صدرت من جريدته الحسناء الى الآن عدة اعداد مملوءة بالمقالات والفصول المفيدة والرسوم الملونة الجميلة الماخوذة من ادارة جريدة البتي جورنال في باريز بموجب اتفاق خصوصي بينهما وبين ادارة المصور . ومن هذه الرسوم رسم دوديكا وراديكا ورسم فيكتور هيغو وابطال رواياته ورحلة الجناب العالي في السودان وسقوط منطاد سنتوس ديمون في البحر وغير ذلك من الرسوم التي هي اتقن واجمل رسوم نُشرت الى الآن في الجرائد العربية . فنرجو للمصور مستقبلاً عظيماً يليق به ونحث القراء على اقتنائه لاجتناء فوائده . وهو يطلب من ادارته في العاصمة وقيمة اشتراكه ٥٠ غرشاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج

﴿ الغزالة ﴾

لحضرات صاحبها يعقوب افندي جمال ومحررها ن . ب

الغزالة مجلة فكاهية ادبية لصاحبها جناب يعقوب افندي جمال صاحب الروايات الشهرية ومحررها ن . ب . وهي تُكتب باللغة العامية . وقد صدر العدد الاول من سنتها الثانية حاوياً كثيرًا من الانتقادات الادبية المفرغة في قالب هزلي منها قولها في الصفحة ٣٠ .

« ما يُكتب في البيت : على باب السلاملك او اودة الاستقبال : ممنوع رمي اعقاب السجاير والتف والنف في الارض * على باب اودة النوم : ممنوع شرب الدخان * على البلكون : ممنوع الكلام بصوت عال ورمي او كب شيء في الشارع * على المرايات :

كلٌّ يظنّ نفسه (ما فيش كدا) فمن هوّ الشنيع منا يا ترى

فنحن نرجو النجاح للغزالة انما نرجو منها ان لا تكثر الملح في اساليبها فان خير الهزل ما طالعه القراء والقارئات من غير اشمئزاز ولا استحياء

﴿ الساحر العليم ﴾

لجناب محمود افندي سلامه

وضع حضرة الفاضل محمود افندي سلامه كراساً عنوانه « الساحر العليم » وقد قال في مقدمته ما نصه .

« عاب بعض صيارفة الكلام . قول ابي تمام :

تسعون الفا كآساد الشرى نضجت   جلودهم قبل نضج التين والعنب

« فقالوا وقد جهلوا السبب : اين ذهب بصفوة العرب . وخلاصة اهل الادب . حتى اغفل البيت من البيض واليلب . والقواضب والحرب . والغنائم والسلب . وحشاه بحشف التين وسقط العنب؟ ... ولما ذاقوا ما فيها من حلاوة التمليح . وملاحة التلميح سال اللعاب . وجف سيل العاب

«وكتابي هذا كذاك التين وذاك العنب. وضع لسبب . من جهله استهجنه . وحقره . ومن عرفه ربما استحسنه . واكبره »

اما هذا السبب فهو ظاهر في الاسطر التالية

« اذ كنت اعلم ما للنفس من شوق غريزي . يسوقها لمعرفة كل خفي . سوق الولي للصبي العصيّ بالعصيّ . ويحبب الجد في طلبه اليها . كلما تعاصى اكتشافه عليها . رايت ان استتر اسرار الاعداد في سرائر الالعاب . واذكي لاستطلاعها شوق ذلك الشاب . لعلي ابلغ الاسباب . اسباب تحبيبه في علم الحساب. ولقد احبه حب قيس لليلى . وشغف به شغف الخليل بالقريض . وساوره الشوق اليه نهارًا وليلاً . وكان الكريه البغيض »

ومحصل ذلك كله ان هذا الكتيب قد جُعل لترويض افكار الطلبة بالغاز حسابية تصرف عقولهم الى المسائل الرياضية العقلية وهم لا يشعرون . فنثني على اجتهاد موءلفه الفاضل ولكننا نتمنى ان يكون جنابه من زمرة الكتاب الذين هجروا ذلك الاسلوب الكتابي القديم الى الاسلوب الطبيعي

﴿ سلم الارتقاء ﴾

لجناب محمد افندي امين

نشر جناب محمد افندي امين في نظارة الاشغال العمومية كتابًا سماه « سلم الارتقاء في دروس الاشياء » وموضوعه كلام عن المملكة الحيوانية . وكل من تصفح هذا الكتاب علم التعب الذي كابده كاتبه لجمعه من الكتب العلمية وذلك مما يوجب الثناء على اجتهاده . ولقد اعلن في حاشيةٍ في الكتاب عزمه على « تاليف رواية تجمع بين الفكاهة والعلم وتحتوي على خلاصة ما وصلت اليه المباحث الفلسفية والعلمية في العصر الحديث » فنحن نحثه على اتباع هذه الطريقة في ما يكتبه وترك طريقة التقرير العلمي التي اتبعها في كتابه سلم الارتقاء

لان التاليف في المباحث الطبيعية ولا سيما الفسيولوجيا لا يسمى تاليفاً حقيقياً الا اذا كان مبنياً على الدرس العملي الذي اساسه التجربة والامتحان والمشاهدة بالنظر كأن يكون المؤلف منقطعاً الى ذلك العلم علماً وعملاً . ولو اتبع جناب الكاتب في هذا الكتاب طريقة الرواية التي عزم على اتباعها في كتاب آخر لما ترك للنقد مجالاً من هذا القبيل

باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والبيتية التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

﴿ سكر المصريين القدماء ﴾

(اكتشاف جديد)

دلّ نوح بسكره على ان السكر قديم من ايامه . وقد روت احدى المجلات الانكليزية في هذا الشهر انه قديم من زمن المصريين القدماء . قالت :

كان السكر شائعاً لدى قدماء المصريين . وكان شرابهم كثير الانواع واهمه ثلاثة . الاول يسمونه « ارب » وهو الخمر المعصورة من عنب كان يرد من سوريا بواسطة الفينيقيين . والثاني يسمونه « هك » وهو البيرة (الجعة) وكانت تستخرج من الشعير ايضاً وكان في بور سعيد اهم معاملها . والثالث يسمونه « سكودو » وهو خمر مستخرج من التمر . وكان في بلاط الفراعنة رجل وظيفته « رئيس معامل البيرة الملكية » . وقد اقبل الشعب المصري في زمن سيزوستريس على السكر بالبيرة اقبالاً شديداً فتالفت لجان صحية لمقاومة السكر . ووجدت في الآثار المصرية صور عديدة لهذه اللجان . ومما وجدوه ايضاً على جدران الهيا كل والمدافن رسوم عديدة للسكارى بعضهم محمول على ايدي رفاقهم و بعضهم تسوقهم الشرطة الى دار الحكومة . ولكن اهم تلك الصور كلها صورة عدة سيدات لابسات اجمل الحلل بعضهن جالسات امام مائدة يتناولن عليها كؤوس الخمر وهن مبتهجات مسرورات و بعضهن اديبات ينظرن اليهن من بعيد نظرة الاشمئزاز والاحتقار

وقد قال صاحب هذا الاكتشاف ان سكان مصر في زمن موسى كانوا في درجة منحطة جدًّا لاقبالهم على المسكرات وان قدماء المصريين هم اول الشعوب التي افرطت في استعمالها

معرفة رطوبة الفراش

الرطوبة مضرة جدًّا خصوصاً بضعفاء الاجسام والشيوخ فعليهم ان لا يناموا بفراش رطب · والطريقة لمعرفة الفراش الرطب من الجاف ان ياخذ احدهم ساعته ويضعها في الفراش ثم بعد حين يفتحها · فاذا ظهر على زجاجتها شيء من البخار المائي كان الفراش رطباً فانزع غطاءه او لا تنم فيه · والا فلا.

احياء الازهار الميتة

قد تذبل الازهار وتقارب اليبس بعد قطفها فالطريقة لاحيائها هي ان يُقطع قليل من اصولها ثم تغمس هذه الاصول في ماء يغلي فالحرارة الشديدة تنبه الزهرة وتعيد اليها الحياة التي اوشكت ان تفقدها حتى تجعلها كانها مقطوفة منذ ساعة

اصلاح طعم القهوة

لاصلاح طعم القهوة واجادتها طريقة بسيطة وهي ان تلقي ربة البيت بين حبوب البن حين تحميصها عدة حبوب من القرنفل او قليلاً من البن اليمني المشهور

منع انكسار زجاج المصابيح

تضع ربة البيت زجاجات المصابيح (القناديل) في اناء فيه ماء وتغليه على النار ثم تدعه يبرد بالتدريج فتصبح الزجاجات منيعة لا تنكسر حين اشتعال المصباح · او انها تثقب الزجاجة بمثقب من ماس فلا تعود الحرارة تؤثر فيها لتفلتها من هذا الثقب

معرفة فاسد البيض وصحيحه

اذب ١٢٥ غراماً من الملح في ليتر من الماء ثم ضع البيض فيه فاذا غرق الى قعر الاناء فهو طريء من يومه واذا بقي في بطن الماء ولم يغص الى القعر فهو من يومين واذا عام على سطح الماء فهو من ايام ويكون فاسدًا اذا لم يغص منه في الماء غير قشرته التي تمس سطحه

الضيق يبعث اللجاج والشجاج حتى عند الدجاج

حدث المسيو لموان قال : عندي دجاجات تحب الخصام فلا يمر عليها نهار حتى تشتبك بالنزاع و ينتف بعضها ريش بعض . فخطر لي يوماً ان اشغلها عن نزاعها واعلمها المسالمة فلم اجد لذلك طريقة خيراً من تعليق كثير من اوراق الكرنب في الارض التي ترعى فيها فصارت بدلاً من ان تنقر بعضها بعضاً تذهب وتنقر تلك الاوراق معاً . وهكذا السعة تطرد اللجاج والشجاج حتى عند الدجاج

الخيل وسقوطها واكلها الخشب

قد يكون الجواد سائراً على بلاط الاسفلت يقود المركبة واذ تزلق قوائمه فيسقط . فيجتمع عليه الناس حينئذ يحاولون انهاضه ولا سبيل لهم الى ذلك الا بجهد وعناء . اما الطريقة البسيطة لانهاضه فهي ان يُسدّ منخراه بشيء من النبات اليابس او التبن او الورق فانه حينئذ يستجمع قواه كلها و ينهض من تلقاء نفسه طلباً للهواء . وكثيراً ما يكون للخيل خصلة شنيعة وهي قضمها باسنانها ما يكون بجانبها من خشب الابواب والنوافذ فالطريقة لمنعها من ذلك ان يُفرك ذلك الخشب بالصابون الاسود فلا تعود الخيل تقربه

الحبر على السجادات

اذا وقع الحبر على السجاد والبسط فلا تحاول ربة البيت ازالته مسحاً بل يجب ان يُذر على الحبر شيء من الملح الناعم ومتى اسود الملح ترفعه وتضع غيره مكانه وهي ابسط طريقة لازالة الحبر

الارشمندريت جراسيموس مسره

﴿ رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية ﴾

المنتخب مطراناً لبيروت

حلَّ غبطة البطريرك المحترم السيد ملاتيوس دوماني بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس بحكمته وعنايته المشكلة التي وقعت فيها الطائفة الارثوذكسية في بيروت ووافق مع المجمع المقدس على انتخاب سيادة المفضال الارشمندريت جراسيموس مسره



﴿ مطران بيروت الجديد للطائفة الارثوذكسية ﴾

مطراناً للطائفة فيها خلفاً للمرحوم السيد غفرئيل . فحقَّ لابرشية بيروت ان تشكر غبطته لانه انالها الآمال وان تفرح بسيادة راعيها الجديد المشهور بين الاكليروس الارثوذكسي السوري بالفضل والعلم . ونحن نهنيء سيادته بارتقائه الى اسمى وظيفة بعد وظيفة البطريركية بالنسبة الى مركز بيروت ونرجو ان تنال طائفته في بيروت كل خير على يده ان شاء الله

باب الاخبار العلمية

تاريخ الاخبار العلمية

﴿ في العام الماضي ﴾

لو رام احد جمع اخبار الاكتشافات والاختراعات والآراء العلمية التي تصدر من كل اقطار العالم المتمدن في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وايطاليا وغيرها لجمع منها في كل شهر مجلداً ضخماً يساوي حجمه حجم ١٢ جزءا من اجزاء الجامعة . وهذا هو السبب الذي يجعلنا نقتصر على تدوين القليل منها . على اننا عثرنا في تقويم المؤيد الذي صدر حديثاً على خلاصة من تاريخ الاخبار العلمية والاكتشافات التي حدثت في العام الماضي في فرنسا وغيرها . فرأينا من الفائدة نقلها للقراء

﴿في الزراعة﴾ ١٥ يناير . عالج الدكتور (جار) الحمى القلاعية بحمض الكروميك — ٢٧ منه بلغ عدد المشتغلين بزراعة الكراز في فرنسا ١٢٨١١٤ وبحث الزارعون عن الطرق للاستفادة بالكحول الفاسدة — ١ فبراير . استنبط المسيو اشمن دواء لآفات شجر البطاطس وهي وضع كيلوغرامين ونصف من سلفات الحديد في ٩٠ ليترًا من الماء مخلوطة بكيلوغرام ونصف من سيليكات الصودا في ١٠ لترات من الماء يذاب فيها ٨٠٠ جرام من كربونات الصوده المكلسة — ٦ مارس . عالج المسيو كروكفيل الحمى القلاعية بمحلول سلفات الحديد في درجة ٢٠ — ٩ افريل . بلغ ما استنفدته اراضي فرنسا لسمادها ٨٤٠٠٠٠ طن من فوصفات الجير . في المانيا يوجد لدى ٩٠٩٠٠٠ مزارع آلات زراعية ميكانيكية — يوليو . دلت التجارب على ان محلول سلفات النحاس بنسبة ٣ الى ٦ في المئة هو انجع دواء لابادة حشرات النباتات . لاحظ المسيو فيلموران انه لترقية الزراعة وتاصيلها ينبغي ان لا يعتبر في انتقاء البذور كبر حجمها فقط بل حصولها من شجرة جيدة البذرة اذ كثيرًا ما يكون الوسط سببًا في كبر البذور مع دناءة اصلها — اكتوبر . قال المسيو كركلاند ان الضفدع تقتل في عام واحد حشرات تتلف من الزراعة ما قيمته مئة فرنك . في سنة ١٨٩٩ اعطت حكومة الولايات المتحدة ١٢٦٠٠ براءة بانواع جديدة للمحاريث . يبلغ قيمة الازهار

التي تصدر سنوياً من ايطاليا ٣٠ مليون فرنك — دسمبر · قال المسيو بينار بزيادة محصول القمح اذا زرع في ارض كان البنجر مزروعاً فيها من قبل

﴿ في العلم ﴾ ٢٩ يناير · استنبط المسيو ارمان طريقة جديدة لاستخراج الكاوتشو بسحق اشجاره — مارس · اقترح المسيو ابيري عمل جهاز جديد لاعدام الفيران بحمض الكربونيك — ٢ افريل · اخترع المسيو تورس آلة لاجراء العمليات الحسابية ١٥ مايو · اخترع المسيو تمازي آلة تصان بها اسرار المراسلة بالتلغراف العديم السلك · اخترع المسيو كورنو جهازاً سماه بجهاز سمت الراس والنظير والغرض منه قياس المسافات السمتة بين السمت والنجوم — ٢٨ منه · كان كسوف الشمس كلياً في اسبانيا — يونيو · وجد المسيو بارفيل ان الصواعق قتلت ٦١٩٨ نفساً في ٦٠ عاماً · فيه اخترع بولسن التلغرافون وهو عبارة عن تلفون يقيد بالكتابة في جهة ما يقال باللفظ في جهة اخرى · انشأ المسيو ستنل ترمومتراً زئبقياً مقسماً الى ٥٠٠ درجة سنتجراد — ٩ يوليو · يؤخذ من تجارب المسيو ا · جوتبيه ان الهواء في عرض البحر هو انقى الهواء وانه يحتوي على ٢٠ من ١٠٠٠٠٠ جزء من حجمه ايدروجيناً نقياً — ١٠ اغسطس · اخترع فينون جهازاً لتنظيم سير البندول · انشأ دوفور ترمومتراً من الكوارتز لبيان درجة الحرارة البالغة في الشدة · اخترع فرانكو تقويماً ابدياً يعرف منه الوقت بدورانه بآلة كآلة الساعة · استعمل ديجريه الكيماوي بي اوكسيد الصوديوم لجعل الهواء المحصور في مكان ما قابلاً للتنفس — نوفمبر · وضع شارل فرايسينه مذكرة عن ٤٢٨ كوكباً من الكواكب التلسكوبية — ١٠ دسمبر · اخترع توماز يني آلة للبحث في العواصف البعيدة · تمكن ج كلسي من تبادل المحادثة بالتلفون العديم السلك على مسافة ٣٠٠ متر

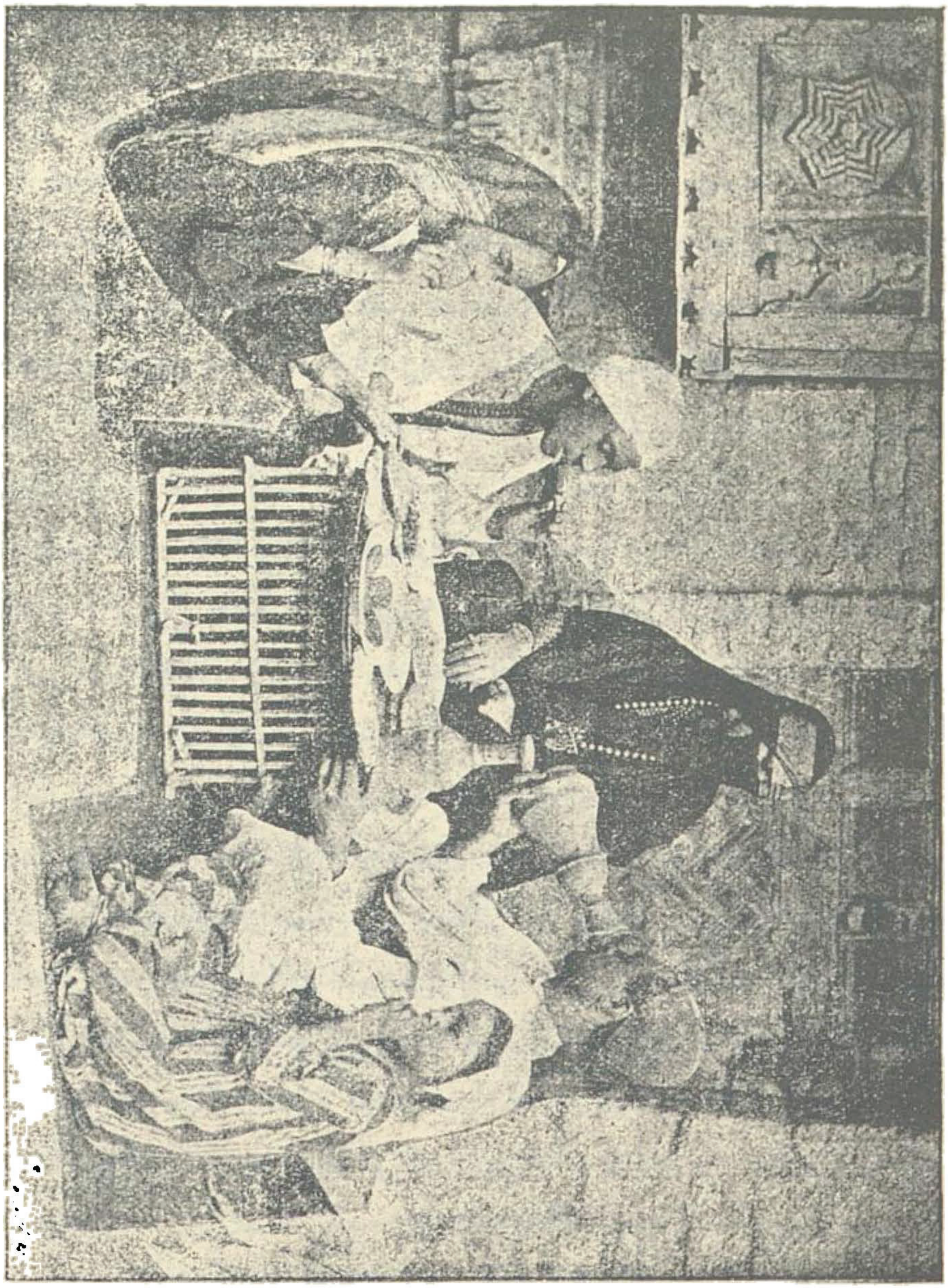
﴿ في الصناعة ﴾ يناير · استخرج كنيس الكحول من نبات الالفا والاسفوديل بنسبة ١٤ لتراً من ١٠٠ كيلو من الالفا — فبراير · بلغ محصول الحديد عام ١٨٩٨ ٣٦٥٦٨ مليون طن والصلب ٢٤٠٣١ طناً وربعها من الولايات المتحدة · اما التصدير فبلغ المستخرج منه ٧٧٣٣٠ طناً — مارس · بلغ المستخرج من الفحم عام ١٨٩٩ في العالم ٦٦٢٨٢٠٠٠٠ طن · صنع الدكتور بوم اسفنجاً صناعياً من سلولوز عجينة الورق — ١٤ افريل · افتتاح معرض باريز · بلغ قيمة ما صدر من الجوالات (الاتوموبيل) الفرنسوية الى الخارج ٤٢٦٠٠٠٠ فرنك · تمكن المسيو دولابورت من تنقية الزيت باضافة ١٠ بالمئة عليه من كرور الكلسيوم — يوليو · اخترع المسيو فويلدر طريقة للتفضيض على البارد

بواسطة ذلك الاشياء · صدرت سويسره في ١٨٩٩ — ٣١٦٦٦٨٤ ساعة قيمتها ١١٢ مليونًا فرنك — اغسطس · ازال ج · هنتر طلاء الصفيح بوضعه في محلول سلفات النحاس · استخرج كروس ورنجتون النشاء من قسطل الهند (ابو فروه) · اخترع المسيو بري صواني متحركة لمنع وقوف القطرات في محطات السكك الحديدية — اكتوبر · بلغ عدد العجلات القدمية سنة ١٨٩٩ في فرنسا ٨٣٨٨٥٦ منها ١٨٥٧٨١ في باريز وحدها · رفع المسيو فيفر بقع الرخام بواسطة بلها بمخلوط من عصارة الليمون وحمض الكبريتيك · اخترع رانجلار يه غماء لايقاف الخيول الجامحة — ١٢ نوفمبر · اغلق المعرض الباريزي · محصول قطن الولايات المتحدة سنة ١٨٩٩ — ٥٥٥١١٢ طنًا · صنع المسيو بيتيزيي مادة جديدة غير قابلة للاحتراق

﴿ في الطب ﴾ يناير · استنبط الدكتور بونييه طريقة لتخيص الصم · استعمل وايت الهواء السائل بصفة مخدر محلي · اخترع الاساتذة بروكا وسابلييه وتيبو مصلاً جديدًا ضد الكحول — فبراير · اقرت الجمعية الطبية على اعتبار الحصباء من الامراض المعدية التي يجب على الطبيب اظهار امرها للحكومة — مارس · قال المسيو كرتزمن ان سبب داء النقطة مرض في مسالك البول · منع الدكتوران دو ترامبلي وبرديولا دوار البحر باستنشاق الاوكسيجين المضغوط عليه — مايو اثبت المسيو منسن ان البعوض يمكنه بلذعاته ان يدخل جراثيم الامراض الى الجسم · عالج متشنيكوف وبسروكا داء البرص بحقن المصل · عالج المسيو ماللري داء الجريب باستنشاق الديهيد فورميك — اغسطس · لاحظ الاستاذ جرانشر في مستشفى تروسو انه بعزل الاطفال المصابين بالامراض المعدية وبمراعاة وسائل التطهير قد قل عدد المصابين بالحصباء بمقدار الثلثين — اكتوبر وفق الدكتور بوت الى معالجة اللوبس الدرني بمنجنات البوتاسا

عادات واخلاق

اعتدنا ان نطبع في هذا الباب بعض الرسوم التي تدلُّ على بعض العادات والاخلاق في مصر وسواها · اما الرسوم التي طبعناها في هذا الجزء فاولها رسم مختص بعيد « شم النسيم » فانه من المعلوم ان سكان مصر وطنيين واجانب قد اتفقوا على يوم يخرجون فيه من المدن الى الخلاء « لشم النسيم » والاحتفال بقدوم الربيع وهذا العيد يقع في اليوم التالي لعيد



﴿ عيلة مصرية في شم النسيم ﴾

الفصح عند الارثوذكس وتخلو المدن فيه من سكانها لامتلاء البرية بهم . وهذا الرسم يمثل عيلة مصرية خرجت الى شم النسيم وهي تتناول الطعام على بساط الطبيعة

اما الرسم الثاني فهو رسم المؤذن في المنائر يدعو الى الله في ظلمة الدجى والناس نيام



﴿المؤذن يدعو الى الله﴾

فيكون لدعائه وقع شديد في النفوس ولاسيما اذا كان صوته رخيماً

والرسم الثالث رسم شجرة ي المطرية يزورها بعض السكان . وسبب زيارتهم لها قولهم ان يوسف والعذراء مريم لما جاءا بالسيد المسيح الى مصر وهو طفل جلسوا تحت هذه

الشجرة للاستراحة قليلاً والمسيحيون يزورون هذه الشجرة تبركاً بها والسياح يزورونها لمشاهدتها



﴿ شجرة المطرية المشهورة بان يوسف والعذراء مريم والسيد المسيح جلسوا تحتها ﴾
﴿ حين مجيئهم الى مصر ﴾